وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الوعي اللساني بالسياق بين القديم والحديث

–عبدالقاهر الجرجاني وتمام حسان أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- بوزيدي ريمة
- لبيض كريمة

نوقشت أمام اللجنة:

توفيق قحام	أستاذ محاضر أ	جامعة جيجل	رئيسا
رياض بوزنية	أستاذ مساعد أ	جامعة جيجل	مشرفا
محمد بولحية	أستاذ مساعد أ	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية 2021/2020

إهداء

الحمد و الشكر لله أولا و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم ثانيا و بعد :

أهدي هذا البحث إلى "أمي" التي إنتاجي ما هو إلا تربيتها "أمي" التي أنارت دربي بنصائحها، و كانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب و البسمة إلى من زينت حياتي بضياء البدر و شموع الفرح، إلى من منحتني القوة و العزيمة لمواصلة الدرب و كانت سببا في مواصلة دراستي إلى من علمتني الصبر و الاجتهاد إلى الغالية على قلبي.

و إلى "أبي" الذي كان سندا لي طوال الحياة، اللهم أسعد قلبه و أبعد عنه متاعب الحياة بأكملها لأنه من دفعني و شجعني لأصل إلى ما أنا عليه اليوم.

إلى "زوجي الغالي" الذي تعجز الكلمات عن وصفه إلى "إخوتي"، و "أختي العزيزة" خديجة

حفظهم الله عز وجل .

إلى كل من ساعدني في إتمام هذه المذكرة.

إلى كل من نسبه القلم و حفظه القلب.

ريمـة

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمة نور العالمين

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى الذي بدل جهد السنين من أجل أن أعتلي سلالم النجاح. أبي الغالي.

إلى من أخص الله الجنة تحت قدميها، وغمرتني بالحب والحنان ومن كان دعائها سر نجاحي –أمي العزيزة–.

إلى من شاركني فرحي وحزني خطيبي فاتح وعائلة تيكودان الكريمة.

إلى من قاسموني أفراحي وأحزاني، و حبهم يجري في عروقي إخوتي وأخواتي: أمال وابنتها الكتكوتة أروى، عبد المالك، مرزاقة، ياسين، إكرام، بسمة، أمين، والكتكوتة أميمة.

إلى عماتي وخالاتي وإلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله. إلى جدتي .

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا البحث من قريب أو من بعيد.

كريمة

مقدمة

مقدمة:

اهتم العرب قديما وحديثا بلغتهم أيما اهتمام فكانت لهم مؤلفات وأبحاث غزت كل بقاع الأرض حيث تناولوا مختلف الفروع المتعلقة بها محاولين وضع قواعد لها، ذلك أن اللغة هي أساس التواصل البشري وهي أساس الأمم و ضرورة للإنسان لابد منها , وقد عرفها ابن جني أنها {أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم} ويتسع بحر البحث فيها فلها العديد من المواضيع والبحوث المختلفة ومن أهم هذه البحوث نذكر السياق .

فالسياق بحث لغوي ظهر منذ القديم الا أنه لم يظهر بتسميته التي هو عليها الان فقد كان مضمنا داخل أقوال ومؤلفات القدماء بتسميات مختلفة يفهم من خلال قراءاتها أنها تقصد السياق على خلاف دراسته في الحديث فتسميته تظهر بصفة صريحة وجلية في مختلف البحوث والمؤلفات الحديثة ومن بين العلماء القدامى الذين درسوه عبد القاهر الجرجاني الذي يعتبر عالما بلاغيا بامتياز فقد تكلم عنه ضمن كتبه وضمنه في العديد من أقواله

حيث تكلم عن عناصر وأنواعه وغيرها من الأمور التي تخص السياق في حين أن تمام حسان يعتبر من العلماء المحدثين الذين درسوا السياق بصفة مباشرة . فهنا يمكننا القول أن السياق في القديم كان كممارسة ولم يكن كمصطلح على خلاف في الحديث إنما ظهر كمصطلح .

ونحن بصدد طرح إشكالية رئيسية تدفعنا الى البحث عن أجوبة تتعلق في هذا الموضوع وهي :

الوعي اللساني بالسياق بين القديم والحديث

عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان _أنموذجا_

هذا الطرح فتح لنا المجال لطرح العديد من الاشكاليات والتي تتمثل في:

- كيف تناول القدماء قضية السياق؟
- كيف نظر المحدثون إلى السياق؟
- ما مدى تطرق الجرجاني إلى قضية السياق؟
- ماهي النقاط التي عالجها تمام حسان في السياق؟
- ماهي أهم فوائد السياق ؟

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الرغبة الشخصية في اكتشاف نظرة كل الجرجاني وتمام حسان الى السياق كونه موضوع مهم في الدرس اللساني.

وتتجلى أهمية بحثنا في العديد من الأمور إذ حاولنا توضيح جانب مهم من النظرية السياقية وهو مساهمة السياق في الكشف عن المعاني.

واعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والمنهج المقارن اللذان يتنسبان مع طبيعة موضوع بحثنا فهذا الأخير ينطلق من دراسة السياق عند العلماء والمحدثين في القديم والحديث ويخلص الى دراسة مقارنة بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان وهذين النوعين من المناهج تستخدم في أغلب البحوث المشابهة

كما اعتمدنا في بحثنا على خطة منهجية تمثلت في فصلين تصدرتهما مقدمة ,أما الفصل الأول فيندرج ضمنه مبحثين إذ ضم المبحث الأول السياق عند القدماء {السياق في المعاجم العربية .السياق عند النحويين . السياق الأصوليين . السياق عند البلاغيين . السياق عند المفسرين}.

أما المبحث الثاني فضم السياق عند المحدثين {السياق في لسانيات النص . السياق في التوليدية التحويلية . السياق في البنيوية . السياق في التداولية}.

أما الفصل الثاني فهو كذلك ضم مبحثين { السياق عند عبد القاهر الجرجاني } و{السياق عند تمام حسان} لنخلص فالأخير الى مطلب صغير عنون بالسياق بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان تطرقنا فيه الى أهم النقاط التي اتفقا فيها وأهم النقاط التي اختلفا فيها

ومن أجل تطبيق هذه الخطة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- السياق والدلالة لمسعود بودوخة.
- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين لعبد النعيم خليل.
- تحليل الخطاب لبراون وبول .
- السياق والنص الشعري لعلي ايت أوشان.

وخلال قيامنا بهذه الدراسة والبحث واجهتنا العديد من الصعوبات كانت عقبة أمام السيرورة الطبيعية له

أبرزها قلة المراجع التي تناولت السياق كدراسة مقارنة بين القديم والحديث والتي يمكنا اتخادها كمشعل نهتدي به في بحثنا .الا بعض الدراسات القليلة والموجزة مما كلفنا الكثير من الجهد والوقت للحصول عليها.

كان للمشرف الاستاذ رياض بوزنية في مسار البحث وتحقيقه لأهدافه المرسومة فقد دعمنا ببعض المصادر والمراجع ولم يدخلا جهدا في توجيهنا الى مكامن المعارف السليمة فحق علينا أن نشكره جزيل الشكر على ماقدمه .

كما لايفوتنا أن نقدم شكرنا الخالص إلى قسم اللغة العربية وأدابها بكلية الأداب جامعة جيجل الذي منحتنا فرصة الدراسة والبحث لاسيما الى طاقم أعضاء لجنة المناقشة.

الفصل الأول: السياق مفهومه عناصره وأنواعه .

I. السياق عند العرب

II. السياق عند الغرب

III. السياق والعرب المحدثين

تمهيد

تعد قضية السياق من القضايا التي أثارت نزاعات فكرية كثيرة أثمر كثيرا من التعريفات للسياق قد تختلف في طياتها إلا أنها تدور في فلك واحد و هو مجموعة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، ما أوجب علينا تسليط الضوء أولا على بعض التعريفات الشائعة للسياق سواء في الدراسات العربية أو الغربية هو توجيه دلالة الكلمة في ضوء السياقات التي ترد فيها.

I. السياق عند العرب

1.I. السياق في المعاجم العربية

جاءت لفظة السياق في اللغة العربية في مختلف المعاجم اللغوية وذلك في مادة سوق. حيث يقول ابن منظور: «ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا هو سائق و سواق يشدد» للمبالغة، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْس مَّعَهَا سَآئِق وَشَهِيد﴾ الآية 21 من سورة ق. و قيل في التفسير سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها وقد انساقت الإبل أي تتابعت[1]، أي أن هذه اللفظة في معناها اللغوي عند ابن منظور تعني قاد . أما في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس فقد جاءت هذه اللفظة مخالفة لما قاله ابن منظور فقد قال في معناها ابن فارس «السين والواو و القاف أصل واحد وهو حدو الشيء يقال ساقه يسوقه سوقا ، والسيقة ما استيقت من الدواب ، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها... [2]». اذن فعنى هذه المادة اللغوية هنا يتلخص في : "تتابعت" و "أعطى". أي في التتابع والعطاء، أمّا الزمخشري فقال : « ومن المجاز يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث» وهذا الكلام مسافة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده[3]، وهنا معنى اللفظة ورد بمعنى ومفهوم آخر فالزمخشري يقصد به أن يحسن الحديث ويجره الى معناه الصحيح .

---

[1] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي .لسان العرب .دارصادر .بيروت . ط 2010.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي . معجم مفاييس اللغة . تح وضبط عبد السلام هارون . دار الفكر . القاهرة . ط1. 1981. مادة سوق.

[3] جار الله . أو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . أساس البلاغة . محمد باسل . عيون السود . دار الكتب العلمية بيروت ط 1. .1998ج 2.ص 314

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية للسياق يمكن القول أن السياق في معناه اللغوي لا يخرج عن القيادة والتتابع وحسن الاستعمال .

2.I. السياق عند النحويين

لا أحد ينكر فضل النحاة في معالجة مختلف جوانب السياق، ويظهر ذلك جليا في حديثهم عن بعض الظواهر اللغوية، كإهمال بعض الأدوات العاملة وفق ما يقتضيه السياق، ودراسة الجملة، ووضع القواعد والأصول التي تتحكم في ترتيب أجزائها. وبوجه خاص ظاهرة الإعراب التي تعد العمود الفقري في مباحثهم، وأيضا اهتمامهم بمقاصد الكلام. وإلى ذلك أشار الباحث ردة الله بن ضيف الله الطلحي في رسالته "دلالة السياق"؛ فيقول: « ومع ذلك حوت كتب النحو إشارات عميقة لغير قرينة الإعراب مع القرائن النصية الأخرى كما حوت إشارات مبهمة إلى الترابط بسياق الجملة أو الجمل، مما يعني وعيهم بسياق النص وإن لم يشيروا إليه بلفظ صراحة، ولكنهم اهتموا بتحليل الجملة من حيث ترتيبها وارتباط ألفاظها وتمامها، فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليا».[1]

بمعنى أن النحاة لم يتطرقوا إلى مصطلح ومفهوم السياف بشكل مباشر، وإنما أشاروا إليه ضمنيا ضمن مباحثهم.

سيبويه (ت 180هـ) :

ومن النحاة الذين أولوا عناية بالسياق نجد سيبويه يتناوله باسهاب في أثناء عرضه لأفكار "الكتاب"، هذا دون أن ننسى جهود سابقيه "كالخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) «كما يتضح من خلال كتاب تلميذه سيبويه؛ من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسته للتراكيب النحوية، كما يعتبر من الرواد الذين اهتموا بعبارة سياق الموقف المتمثلة في المتكلم، والمخاطب، والعلاقة بينهما، وعلم المخاطب بالمعنى إلى غير ذلك مما يرتبط بالمقام»[2]، أي أن "الكتاب" "لسيبويه" والذي يعد أول مؤلف مقعد للنحو العربي؛ يشير إلى اهتمام الخليل بن أحمد الفراهيدي بالسياق، وطبيعة دراسته في ذلك الوقت حيث ناقش هذا الأخير العلاقة الوطيدة بين المتكلم والمخاطب، والخطاب وكل ما يرتبط بالمقام ويساعد في الكلام من قريب أو بعيد، فإذا ركزنا على "الكتاب" لسيبويه نجد فيه كثير من مواضيع الكتاب يكرر لفظة «ويراد بهذا كذا وكذا ...».

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، ط1، 1424هـ، ص66.

[2] محمد سالم صالح: الدلالة والتعقيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص369.

يتحدث سيبويه عن السياق في إطار تحليله الظواهر الإعرابية وأثر ملابسات الحال في الحكم بصحة التركيب أو عدم صحته «وهو في صدد أداء مهمة في إيضاح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب وتحليل الظواهر الإعرابية الموافقة لها تعبيرا عن وظائف كلامية معروفة، يستعيد السياق الذي ولدت فيه والجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافقت ولادتها مما سماه "الحال" أي المقام الذي قيلت فيه»[1]. وفيما يلي بيان لنوعي السياق عند سيبويه:

I.2.1. السياق اللغوي:

هذا النوع من السياق يهتم بترتيب العناصر اللغوية وما تعلق بها من حذف، وإضمار، ... إلخ، وما يصاحبه من نبر، وتنغيم لما تحدثه من أثر على عملية الفهم أثناء الفعل الكلامي، وقد عرض سيبويه إلى الحذف الذي يرتبط بدليل يدل عليه من سياق النص، ثم ذكره في جملة سابقة أو لاحقة له يفسر المحذوف ويدل عليه. وذلك في قوله: «ومما ينصب أيضا على إظهار الفعل المستعمل إظهاره، قول العرب: حدث فلان بكذا وكذا، فتقول صادق والله، أو أنشدك شعرا فتقول: صادق والله، أي قاله صادقا، لأنك إذا أنشدك فكأنه قد قال كذا»[2]. ومن خلال قوله هذا نفهم أن السياق اللغوي للنص المذكور قد دل على الفعل المحذوف (قاله)، وبالضبط هو الفعل: صدق لأنه يترتب عن قول أو فعل.

كما اهتم سيبويه بالأداء الكلامي، وما يصاحبه من نبر وتنغيم موضحا أثرهما في تحديد المعنى «بوصفها جزءا من السياق اللغوي للنص لأنهما يرتبطان بطريقة الأداء الصوتي للكلام، من حيث الضغط على بعض المقاطع، والتنغيم أو التلوين الصوتي للكلمة أو الجملة»[3]. ومنه فارتفاع الصوت وانخفاضه على مستوى الكلمات أو الجمل أو العبارات يساهم في تعيين دلالة ومضامين الكلمات أو الجمل.

I.2.2. سياق الحال:

وفي مقابل عنايته بالسياق اللغوي نجده يشير في أكثر من موطن إلى أهمية السياق الاجتماعي من خلال حديثه عن الاستقامة، والاستحالة في الكلام؛ فيقول: « فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم

[1] صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1419هـ-1998م، ص 215.

[2] عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر سيبويه، الكتاب، تج وشرح، عبد هارون الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، 1408هـ-1988م، ص 271.

[3] محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي في فكر سيبويه، دار غريب، القاهرة، ط1، 2008، ص400.

قبيح، وما هو محال كذب فأما المستقيم الحسن وقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، فأما المحال: أن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»[1]. فحسب سيبويه فإن صحة الكلام وكذبه يتحقق مع صحة التركيب واستحالته، مثلا التركيب اللغوي للعبارات «أتيتك غدا»، و «سآتيك أمس»، و«سوف اشرب ماء البحر» هي تراكيب صحيحة نحويا، لكنها غير مقبولة عقلا لأنها تتعلق بالظروف الاجتماعية، فالكلمات (غدا، البحر، أمس) هي الفاظ دالة على زمان ومكان وقوع الحدث الكلامي، هي التي تحدد لنا إذا كان الكلام مقبول أو غير مقبول.

ثم تحدث عن السياق في إطار الجمل المحذوفة، وتقديرها تحت ما أسموه بإظهار الجمل «وقد اتجه سيبويه لتعليل الحركة الإعرابية إلى ما يسميه المحذوف بالبنية التحتية Deep structure فالسياق الظاهر في كل من التعبيرات السابقة لا يشتمل على عامل يؤدي عمل النص في كل من الكلمات الثلاث، ومن ثم فقد قدر سياقا آخر يستقيم معه النص لهذه الكلمات وهو الفعل المحذوف المناسب للسياق اللغوي».[2]

بهذا يظهر لك أن سيبويه تجاوز فكرة البنية السطحية، واستحضر سياق الحال في تعليل المحذوف؛ أي أن السياق هو عنصر من عناصر توجيه المعنى، وبمعنى أخر المراد بتوجيه المعنى، ما دل على السياق الأصلي، وتقدير المحذوف من خلال ربطه بملابسات الحدث الكلامي بالإعراب، في حين هذا الربط ليس تجاوزا، وإنما إلزاما لإدراك المعنى المقصود، وفي هذا المقام يقدم سيبويه مثال يشرح فيه ذلك، يقول: «ورأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا قلت: الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال. أو رأيت ضربا فقلت على وجه التفاؤل: عبد الله، أي يقع بعبد الله أو بعبد الله يكون. ومثال ذلك أن ترى رجلا يريد أن يوقع فلانا، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلا، أو أخبرت عنه بفعل، فتقول: زيدا، تريد، اضرب زيدا، أو تضرب زيدا»[3]. فحسب سيبويه كلمة «رأيت» يختلف معناه باختلاف السياق الذي وردت فيه، لأن المقام هو الذي يدل على المعنى الدلالي للفظة، أو الشيء الذي نعبر عنه، فمثلا إذا كان المتكلم سمع فقط بالفعل الذي

[1] سيبويه، "الكتاب"، تج وشرح: عبد السلام هارون الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1048،1هـ-1988م، ص71.
[2] عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، ص116-117.
[3] سيبويه، "الكتاب"، تج وشرح: عبد السلام هارون الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1048،1هـ-1988م، ص257.

حذف هو «سمعت»، لأن سياق الحال هو الذي دل عليه، ولو كان "يرى" فقط فسياق الحال يدل على "الرؤية" فقط ومنه فسياق الحال أو المقام الدال الذي دل عليه المتكلم هو الذي يحدد الفعل المحذوف والمقام أو السياق لفظتان مترادفتان في الدرس اللغوي القديم، وإن كان هناك شيء من التفصيل في دلالتهما، إذ أن سياق الحال؛ هو مجموعة من القرائن الخارجية التي تصاحب التلفظ، وفي الأمثلة السابقة ليست هناك قرينة داخلية تحيل على السياق اللغوي، فكان السياق هو سياق التلفظ (سياق الحال) بحيث جمع القول السابق كل عناصر السياق (المرسل، المستقبل، الزمان والمكان، ...)

ونستنتج مما سبق أن السياق عند سيبويه يتظافر بشقيه (السياق اللغوي والسياق غير اللغوي) مبينا حال المتكلم والمخاطب والعلاقة التلازمية بينهما والظروف الخارجية المحيطة بالنص الخطابي.

ابن الأنباري (ت328هـ)

كما واصل ابن الأنباري ما بدأه سابقوه في هذا المجال فتناول سياق بنوعيه، خاصة في كتاب "الأضداد" لإثبات التضاد، فكان تفسيره لا يقتصر على المعنى المعجمي بل تعدى إلى ربطه بالسياق الاجتماعي، وسياق الحال الذي تستعمل فيه الكلمات: حيث يقول: « أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها حال التكلم والإخبار إلى معنى واحدا ».[1]

وبهذا يسير ابن الأنباري في كتابه على نفس المنهج، إذ لم يكتفي في تفسيره للتضاد بمعنى اللفظة مفردة بل يلجأ إلى موقع كل كلمة داخل سياقها اللغوي بالتحليل اللغوي في أساسه يقوم على حمل المعنى حال نقيضه، بحيث الكلمة تفسر في السياق الذي تستعمل فيه.

ابن جنّ (321هـ-392هـ)

[1] محمد بن قاسم بن محمد بن بشار بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعا أبو بكر الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ت/ط، 1991م، ص 02.

يعطي ابن جنّ السياق الأهمية الكبرى، من خلال دعوته إلى الأخذ بعين الاعتبار الظروف المحيطة بالفعل الكلامي عند الكشف عن المعنى وتحديده. فنجده في كتابه "الخصائص" يشير إلى دور المشاهدة والعيان ولكل العناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية في تأدية المعنى وتوجيهه، انطلاقا من تركيزه على الوظيفة الإبلاغية في ذلك، باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي لا تنفك عن السياق الاجتماعي، فاختلاف اللغة يؤدي إلى الاختلاف في المجتمعات؛ فيقول: « أولا تعلم أن الانسان إذا عناه امر فأراد ان يخاطب به صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: (يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه »[1]. وعلى هذا الأساس وضح قيمة المقام وأهميته في تشكيل النص، كما أشار على المقام وعبّر عنه "بالغائب" الذي يقصد به الموقف الذي قيل فيه النص «فهو يستعين في بيانه لما قصدته العرب بما يشاهده من أحوال المتكلمين ووجوههم، ممن أتيحت له رويتهم في أثناء حديثهم، أو يستعين بما نقله العلماء من أحوال المتكلمين وسجلوه، عمن لم يحضر حديثهم، وبذلك تكون الدلالة الاجتماعية رافد من الروافد المهمة في درس الظاهرة اللغوية (...) وكذلك قد أشار ابن جنّ على أهمية الحدث غير الكلامي، إضافة إلى الحدث الكلامي في إدراك المعنى، فهو برى أن التصرفات التي تبدر والملامح التي تتشكل على الوجه تصور ما في النفس تصويرا يقسم على هدف القول»[2]. فنفهم من هذا القول إمكانية الوصول إلى المعنى المراد من خلال ما يحيط بالكلام من سياقات لغوية وسياقات اجتماعية؛ حيث تنبه على أهمية القصد والإدراك وملامح الوجه وملامح المتكلمين، وزمان ومكان الحدث الكلامي في تعيين المعنى الأرجح.

كما وظف ابن جنّ السياق اللغوي في تحديد المعنى وتوجيهه في حديثه عن ظاهرة النبر والتنغيم؛ فيقول: « وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا، فتزيد من قوة اللفظ ب: (الله) هذه الكلمة، وتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت ب (انسان) فتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سماحا أو جوادا، أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق،

[1] أبو الفتح عثمان بن جنى، الخصائص، تج: محمد علي النجار، دار المتاب العربي، بيروت، ج1، ص246-247.

[2] المرجع نفسه، ص66.

قلت: سألناه وكان انسانا وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما لحزا أو مخيلا أو نحو ذلك»[1]. بمعنى أن ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام يضفي أنواعا مختلفة من الدلالة تتحدد وفق السياق الذي يتم فيه إنتاج النص، وإضافة إلى ذلك فإن إشارة ابن جنّ إلى سياق الحال في تحديد المدلولات المتعلقة بالمتكلم والسامع، وكل ما يرتبط بالكلام من ملابسات خارجية « حكمة تداولية حيه، تؤسس لقاعدة تواصلية تسبق عصرها بقرون من الزمن، حيث أن تعابير الوجه وتفاصيلهم وحركة المتكلمين فيما بينهم هي في ذاتها لغة ومعاني تكميلية دقيقة في العملية التواصلية، وهي موضوع درس جديد اليوم يسمى بعلم الكنزياء»[2]. ومنه فإن الإشارات اليدوية وتعبيرات الوجه ونبرات الصوت، وكل الإشارات السيميائية عندها تأثير دلالي تغني أحيانا عن الكتابة مثلا: حديث سيدنا سليمان مع النملة، في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنَ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلتِے أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَيٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنَ اَعْمَلَ صَٰلِحا تَرْضِيٰهُ وَأَدْخِلْنِے بِرَحْمَتِكَ فِے عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ آية 19 من سورة النمل. الآية هنا حددت نوع الابتسامة «فتبسم ضاحكا» لأن الابتسامة أنواع فهناك ابتسامة سخرية، وابتسامة ضحك، وابتسامة غضب، ... إلخ. بالتالي فالعملية التواصلية لا تتم كتابة فقط، وإنما تتم أيضا عن طريق الصوت، إشارة اليد، ...إلخ

المبرد (ت 285هـ)

ومن النحاة الذين أكدوا أهمية السياق نجد "المبرد" الذي لا تكاد تختلف نظرته له عن سابقيه في هذا المجال -السياق-؛ فيقول: «(...) ما يكون من تغير صفات الخطاب وعناصره وفقا لمنزلة المخاطب والأحوال التي تعتز به، مما يدخل في نطاق السياق العاطفي الذي عده علماء اللغة الاجتماعي المحدثون مطلبا مهما لدراسة اللغة»[3]. ومثال ذلك قوله: « والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي. وإنما نسمي هذا أمرا ونهيا، وقيل للآخر: طلب للمعني، فأما اللفظ الواحد في ذلك قولك في الطلب: اللهم اغفر لي، ولا يقطع الله يد زيد. وليغفر لخالد. فإنما تقولك سألت الله، ولا تقل: أمرت الله، وكذلك لو قلت للخليفة، أنظر في أمري، أنصفني، لقلت سألته ولم تقل،

[1] ابن جنى، الخصائص، تج: عبد الحميد هنداوي/ م2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص127.

[2] المرجع غير موجود

[3] حليمة أحمد عماير، الإتجاهات النحوية لذى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، عمان، 2006م، ص93.

أمرته»[1]. انطلاقا من الأمثلة السابقة يمكننا القول بأن السياق العاطفي عند المبرد يرتبط بالدلالة العاطفية التي تحملها الكلمات وهي بدورها تختلف من شخص إلى آخر وبالتالي فهذا الجانب من السياق يعبر عن شعور المتكلم وانفعالاته ضمن موقف السياق، هذا من جهة ومن جهة أخرى يولي عنايته بسياق الحال؛ حيث يقول: «ألا ترى أنك تقول: غفر الله لزيد فلفظه لفظ ما قد وقع، ومعناه، أسأل الله أن يغفر لهم، فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل، جاز أن يقع ما ذكرناه، ولم يفهم من قائله إلا على ذلك»[2]. وعليه كان في كلامه "فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل" ما يدل على ضرورة سياق الحال والمقام في تحديد المعنى الأرجح لأن المعنى المعجمي في نظره غير كاف لمعرفة ما يقتضيه السياق العام.

ابن هشام (ت761 هـ)

يتضح تركيز ابن هشام على المعنى من خلال اشتراطه المعنى في إطار إعراب الجمل وتحليلها؛ فيقول: « وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه منفردا أو مركبا»[3]. فالمعنى عنده لا يقتصر على المعنى المعجمي وإنما يتجاوزه على سياق الحال أو المقام وخير مثال على ذلك قوله: «وها أنا مورد بعون الله أمثلة متى بنا فيها على ظاهر اللفظ، ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد (...) فإحداهما، قوله تعالى: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ اَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾ الآية 87 من سورة هود. فإنه يتبادر إلى الذهن أن عطف (أن نفعل) على (أن نترك)، وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على (ما)، فهو معمول للترك، والمعنى أن نترك (أن نفعل) »[4]. فالملاحظ من المعنى المعجمي أن عطف (أن نفعل) على (أن نترك)، وهذا خطأ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على (ما)، فهو معمول للترك والمعنى الحقيقي وفق هذا السياق هو: السخرية والتهكم؛ كيف تامرنا بترك ما يعبد أباؤنا وترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء، وبالتالي فهو هنا؛ "لا يريد الاعتماد على ظاهر اللفظ إلى جانب الشكل، لأن ذلك يؤدي إلى تحديد علاقات بين عناصر الجملة، تسلم إلى البعد عن المعنى المراد"[5]. وهكذا أدرك ابن هشام أهمية السياق بكل عناصره في توجيه الإعراب.

[1] أبو العباس محمد بن يزيد عبد الأكبر الملقب بالمرد، المقتضب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدة، بيروت، ج2، ص44.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص325.

[3] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997 ، ص 529.

[5] ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دراسة في أقسام النظام والأساليب، ص 205.

I.3. السياق عند الأصوليين

اهتم الأصوليون كثيرا بمسألة السياق ، ويظهر ذلك من خلال تحديدهم لجوانبه المختلفة، وتفصيل الحديث عنها وبيان دورها في فهم مقاصد التنزيل.

وتتمثل جوانب السياق عند الأصوليين و مظاهر اهتمامهم به في بعض العناصر، سوف نفصّل في الحديث عنها فيما يلي وهي : الموقف المقالي والموقف المقامي.

I.3.أ. الموقف المقالي :

هو العلاقة التي تربط سابق الكلام بلاحقه فتعين على فهم المعنى المراد؛ أي أن السياق اللّغوي يتجاوز المعنى المعجمي للفظة إلى تتبع المعاني المتعددة لهذه اللفظة وفق سياقات مختلفة؛ حيث يقول "الشافعي" : « فالكلام قد يكون عاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص ، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاصُّ. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهر، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره »[1]. ويقول أيضا : « وتبتدئ الشيء من كلامها –العرب– يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء بين آخر لفظها منه عن أوله »[2].من هنا يظهر اهتمام الأصوليين بالسياق المقالي و السياق المقامي من خلال بحثهم في دلالة اللفظ الظاهر و الخفي، العام والخاص وما يفهم من النص ككل؛ فدلالة الصيغ لا تدل على العموم ولا على الخصوص بل تتعدى ذلك إلى السياق الذي ترد فيه لتبرز لنا المعنى الدلالي ومراد المتكلم.

I.3.ب. السياق المقامي :

تحدث الأصوليين عن أهمية القرائن غير اللّغوية في تبيين قصد المتكلم بحسب مقتضى الحال، وهو حال المتكلم أثناء قيامه بالفعل الكلامي وما يشتمل عليه من عناصر مقامية متعددة تتصل بالمخاطَب والمخاطِب ومختلف الظروف الخارجية المحيطة بالخطاب ومن أبرز عناصر السياق المقامي هي عند الأصوليين ما يلي:

1– المتكلم و المتلقي: المتكلم عنصر أساسي في الحدث الكلامي، والسامع هو الطرف الثاني في العملية التواصلية. فقد أولى الأصوليون عناية فائقة بالمتكلم والمتلقي ذلك بدراستهم لمقصد المتكلم ومختلف القرائن الدالة

[1] أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية،بيروت،ج1 ،ص 52 .

[2] المرجع نفسه، ص 52.

على مراده والملابسات المحيطة بالفعل الكلامي اذ يقول ابن القيم : « لمَّا كان المقصود من التخاطب التقاء قصد المتكلم وفهم المخاطب على معنى واحد كان أصح الإفهام وأسعد الناس بالخطاب ما التقى فيه فهم السامع ومراد المتكلم، وهذا هو حقيقة الفقه »[1]. بذلك يعتبر المخاطب عنصرا فعالا في العملية التواصلية ،فيشترط فيه بداية مراعاة الفئة التي يقدم لها القالب اللغوي، ومن ثم توظيف أساليب حقيقية ومجازية وأساليب الإقناع فهي تساعد المتلقي بشكل كبير على استقبال رسالته بصورة "مباشرة" و "بسيطة" وأيضا نبرة الصوت تتحكم في نجاح أو فشل العملية التبليغية.

وبالتالي يستخدم المرسل مختلف الاشارات والايماءات وهي أحد عناصر السياق الاجتماعي في تبليغ و ايصال القصد من الخطاب اللغوي للمستقبل وهذا الأخير بدوره من خلال تلك الاشارات والرموز الطبيعية يقوم بالكشف عن المعنى الصحيح .

وتحديد المعنى المراد، يلغي كل الاحتمالات الخاطئة. ونجد في هذا الصدد قول ابن القيم تأكيدا لما سبق :« السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى :﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ الآية 49 من سورة الدخان. كيف تجد سياقه يدل على أنه (الذليل الحقير)» .[2]

وكل ما سبق يحيلنا الى عنصر آخر من عناصر السياق وهو السياق الاجتماعي أو السياق الثقافي؛ فاستعمال المجتمع للكلمة واتفاقهم على دلالتها جزء من السياق يساهم في وضوح الدلالة.

2- السياق الاجتماعي : دراسة الأصوليين للسياق الاجتماعي من أهم اشاراتهم اللسانية في الفكر الأصولي وذلك من أجل تفسير النصوص والأحاديث لأن أي تغير في العادات والعرف داخل المجتمع يؤدي بالضرورة الى تغير في الحكم،فكان لهذا النوع من السياق سيمات تتعلق بالمعلومات التاريخية وأنماط التفكير المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والوقوف عند موضع الحدث؛ حيث يقول الشافعي: «وتبتدئ -العرب- الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله. وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون

[1] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي المعروف باسم " بن قيم الجوزية " ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، حققه علي بن محمد الدخيل ، دار العاصمة ، بالمملكة العربية السعودية ، 1418 هـ - 1998 م ، ص 500- 501 .

[2] ابن القيم الجوزية ،بدائع الفوائد ،تح، علي بن محمد العمران ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان، 1980 م ،ج4 ،ص 09-10 .

الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها؛ لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها [2]».

فهذا التعريف يتناول بعض من عناصر السياق الاجتماعي كالاشارة و التلميح، وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، طابع البيئة العربية التي نزل القرآن الكريم بلغتنا التي من شأنها إبراز المعنى وايضاحه، ويشير ضمنيا إلى قضية مهمة من قضايا النظرية السياقية الحديثة وهي "سياق النص" و اعتباره قيمة مرجعية لفهم النص.

وغير بعيد عن هذا أكد الغزالي أن الاصوليين قد أخذوا في الحسبان "السياق الاجتماعي" في الحديث عن الدلالة؛ فيقول :« أعلم أن الكلام إما أن يسمعه نبي أو ملك من الله تعالى، أو يسمعه نبي أو ولي من ملك، أو تسمعه الأمة من النبي، فإن سمعه ملك أو نبي من الله تعالى فلا يكون حرفا ولا صوتا ولا لغة موضوعة حتى يعرف معناه بسبب انعدام المعرفة بالمواضعة، ثم إن كان نصا لا يحتمل سوى معرفة اللّغة وإن تطرق الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة : إما لفظ مكشوف ،كقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الانعام : الآية 141، والحق هو العشر، وإما على دليل العقل،كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ الزمر : الآية 67، وقوله عليه الصلاة والسلام : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » . وإما قرائن الأحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر و التخمين تختص بإدراكها الشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر، حتى تستوجب علما ضروريا بفهم المراد» [1] .

في هذا القول صفة صريحة لاعتماد الأصوليين على السياق بكل عناصره اللغوية وغير اللغوية ليصلوا إلى فحوى الخطاب، فالغزالي لا يقتصر في تحديد معنى اللفظ على بعض الإشارات والإيماءات فقط وإنما أشار إلى خمسة أنواع من الدلالات تزيل اللبس عن اللفظ إذ هي: دلالة الاقتضاء، ودلالة الايماءات، ودلالة الاشارة، ودلالة التعليل، ودلالة المفهوم .

3- أسباب النزول : هذا النوع من السياق يتطلب الفهم و حسن التطبيق بحيث أن قراءة نص قرآني أو حديث للوهلة الأولى يتبادر إلى الذهن معنى أول وعند معرفة سبب النزول ينصرف الذهن الى معنى آخر مختلف

[2] الشافعي ، الرسالة ،ص 51- 52 .

[1] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي المعروف بالغزالي ، المستصفى في علم الأصول ، المطبعة الأميرية بولاق ، 1323 هـ ،ص 262 .

للمعنى الأول وهذا ما أدى بالأصوليين الى اشتراط السياق لمعرفة أسباب النزول في توجيه المعنى وتحديده فكلما كان السياق يتفق مع سبب النزول كلما كان المعنى قويا وصحيحا؛ فيقول الامام الشاطبي (ت 720 هـ) :« معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن » [1]. وقال : « من ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة »[2]. لقد أدرك الأصوليون العلاقة الوطيدة القائمة بين أسباب النزول والسياق لأن لبَّ دراسة السياق ينطلق من معرفة مقصد المتكلم والعلاقات الزمانية و المكانية التي يجري فيها الكلام ومراعاة المقام، التي هي بدورها ملابسات التنزيل. فقد تتضارب فيما بينها، لكن تحديد المقام الذي قيل فيه النص الخطابي يساهم في تعيين المعنى المراد، فلا معنى من دون سياق ولا تأويل من دون اعتبار له وبالتالي كلما تغير السياق تغير الحكم الشرعي.

4- الزمان والمكان : عنصران من عناصر السياق إذ ما يمكننا أن نقول عنه أنه جائز في زمان ما ليس بالضرورة جائزا في زمان آخر فلكل زمان ومكان خصوصيته ومرجعيته الاجتماعية، ومن هذا المنطلق رأى الأصوليين ضرورة مراعاة الزمان والمكان في طرق تأليف الكلام وأوجه استعماله وادراك الغاية الغرض منه، وأخذهم بالعرف وسيلة لاستنباط وفهم الأحكام الشرعية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى حتمية الدراية بالظروف وخصوصيات الأحوال الخارجية عند عملية تطبيق الأحكام حيث يقول ابن قيم الجوزية : «(...) وهذا محض الفقه ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس وأبدانهم » [3].

يفهم من الأقوال السابقة إدراك الأصوليين العناصر السياقية بكل جوانبها (السياق اللغوي و السياق الاجتماعي)، سواء كان ذلك بصفة مباشرة أو غير مباشرة وقصور المعنى الظاهر الحرفي؛ فقد كانت نظرتهم للوصول إلى الدلالة اللفظية لا من حيث الألفاظ المفردة أو الدلالة المعجمية؛ بل من حيث مقاصد الكلام ونية

[1] أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، الموافقات ،ص 347 .
[2] نفس المرجع السابق ، ص 351 .
[3] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج3 ، ص 89.

المتكلم واعتمادهم الصلة الوثيقة بين النص و العناصر المقامية المحيطة بالنص من زمان، ومكان، ومحددين شخصية المتكلم و المتلقي وتكوينهما الثقافي، والعلاقة التي تربطهما ببعض، وجل الظروف والملابسات المحيطة بالصيغ والنصوص المعبرة عن إرادة الشارع .

I.4. السياق عند البلاغيين

تحدث البلاغيون عن أهمية السياق من خلال اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، حيث كانت لهم مقولتان مشهورتان في هذا الصدد وهما (لكل مقام مقال) و (لكل كلمة مع صاحبتها مقام)[1] ، فالمعنى لا يقتصر على السياق اللّغوي (المقال) وإنّما يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام) ، وهذا مافسّرته صحيفة بشر بن المعتمر (210 هـ) الذي نقل عن قوله :« المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني العامة و إنّما مدار الشرف على الصواب ، واحراز المنفعة مع موافقة الحال ، و ما يجب لكل مقام من المقال»[2].

ومنه فإن تحقيق بلاغة الكلام متصل بالضرورة بمراعاة الحال أو مراعاة السياق الذي يقال فيه ذلك الكلام انطلاقا من المتكلم الذي يراعي من يخاطب ، وكذا احراز المنفعة مرتبط بوجود الملاءمة و المطابقة بين الحال و التعبير.

«ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرة المقال أو المقام بوصفهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى يعد الآن في الغرب من الكشوفات التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللّغة»[3].

نستنتج أن البلاغيين تقدّموا كثيرا و سبقوا الغرب في دراسة اللّغة خاصة أنهم جعلوا المقام و المقال ركيزتين أساسيتين في تحليل وإبراز المعنى ، في حين الغرب لم يكتشفوا ذلك إلا بعد مرور حقب من الزمن « وقد اهتم البلاغيون بملمح السياق وعدّوه أصلاً لما يمكن أن توصله الرسالة اللغوية ، وتنوعت تعليقاتهم حول السياق في

[1] هاذي نمر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،تح محي الدين عبد الحميد ،دار الأمل الاردن ،ط1 ،2007،ص 268 .
[2] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ج1 ،ص 136 .
[3] تمامحسان، اللّغة العربية معناها و مبناها، علم الكتب،ط2006،5، ص 337.

إطار بحوثهم المختلفة للنص القرآني . ونلحظ عند أبي عبيدة (210 هـ) إشارته إلى الكيفية التي يتم التوصل بها إلى فهم المعاني القرآنية حسب السياق التي ترد فيه» [1].

أي أنهم اعتبروا السياق عنصرا مهما لا يمكنالاستغناء عنه في فهم النص القرآني.

وكان ذلك حافزاً أساسياً لوضعه (مجاز القرآن) أو كما يقصده بأنه « الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته »[2].

اعتبر البلاغيون السياق ركيزة أساسية وأداة فعالة لا يمكن الاستغناء عنها في فهم ما يوجد في الآيات القرآنية و أولوه عناية كبيرة في بحوثهم الكثيرة و المتنوعة الهادفة إلى كشف المعاني المخبئة في النّص القرآني فإن عرف السياق الذي وردت فيه الآيات عرف معناها ،وذهب الغموض و اللّبس عنها و اتضح ما المقصود منها ، وهذا ما جعل أبو عبيدة يؤلف مجاز القرآن أو ما يقصد به التعبيرات التي يضعها القرآن.

«وقد عمد الى تبيان تلك الطرق الخاصة لأداء المعاني و الدلالات و ذلك ببيان السياق الدلالي عن طريق تفسير الكلمة و القرائن السياقية كما يشيع ذلك في كتابه» [1].

محاولة الكشف عن المعاني و الدلالات الموجودة في النص القرآني يفتح لنا الطريق للبحث عن السياق الذي وردت فيه الآيات وبذلك فإننا نصل الى الكشف اللّبس و الغموض عنها و تحقيق الفهم .

وقد خصص الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين" مبحثا عن "سياق المقام وكان حديثه عن تمييز أصناف الدلالات حيث يقول : « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ،خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد :أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ،ثم الخط ،ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف وتقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها و حيلة مخالفة لحيلة أختها وهي التي تكشف عن آيات المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير » [2].

[1] أسامة عبد العزيز جاب الله: السياق في الدراسات البلاغية و الأصولية (دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق)، ص 13.

[2] أبو عبيدة ، مجاز القرآن ،تح محمد فؤاد ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ط1988،1 ، ج1 ،ص09

[1] أسامة عبد العزيز جاب الله: السياق في الدراسات البلاغية و الأصولية (دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق)، ص 13.

[2] الجاحظ : البيان و التبيين ، تح :عبد السلام محمد هارون ، ج1،ص 76

ومنه فإن الأصناف التي ذكرها الجاحظ هي التي تقوم بالكشف عن الدلالات و المعاني و الحقائق سواء في الجمل أو التعبيرات.

« ومقصد الجاحظ هنا من الدلالة على ملمح السياق الذي هو مناط الأمر في الحديث أو في عناصر الرسالة الكلامية » [1].

أي أن السياق هو الأمر الوحيد الذي يكشف لنا عن خبايا الحديث وعن معاني الكلام .

وأن « لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من اللفظ ، ولذلك يجب إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم[2]».

لابد من مراعاة أحوال المتلقي إذا قمنا بصياغة الرسالة اللّغوية أو التعبير اللّغوي.

ويتضح أن الرماني له معرفة تامة بأهمية السياق في إدراك عناصر الرسالة اللغوية رغم ما يمكن أن يعتوها منإنزياحات في التركيب أو في الدلالة عن طرق توظيف فنيات الحذف والاختصار والتقديم والتأخير»[3].

وترى د. عواطف مصطفى أنحديث الرماني عن « السياق بوصفهالبيان هو الوسيلة الوحيدة أو الوسيلة الكاشفة لنا عن قناع المعنى وكذا السياق[4]».

بينما أبو الهلال العسكري يقول : «الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أنالاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة إشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة عرِف» [5].

بمعنى أن الاختلاف في العبارة أو في الاسم يؤدي بالضرورة الى الاختلاف في المعنى وان السياق هو الوسيلة الوحيدة التي تفرق بين ما نقصده في معنى عن ما نقصده في معنى آخر ،فقيمة الكلمة تظهر في المعنى الذي تهدف اليه و المقام الذي تقال فيه .

---

[1] أسامة عبد العزيز جاب الله: السياق في الدراسات البلاغية و الأصولية (دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق)، ص 14.

[2] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1،ص76.

[3] أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ، تح محمد خلف الله أحمد ، دار المعارف ،ط2010،3،ص 79-80 .

[4] عواطف مصطفى كنوش ، الدلالة السياقية عند اللّغويين ، دار البيان ، ط1 ، 2007 ، ص 97 .

[5] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ، الفروق في اللّغة ، تح محمد ابراهيم سليم ، دار العلم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط7 ،1991 ، ص 13.

وتناول السكاكي مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال من زاوية اختلاف مقامات الكلام عن بعضها وذلك مراعاة لسياقاتها المتنوعة أي حسب مقامات المتلقي للرسالة اللغوية.

يقول:« لا يخفى عليك أنمقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام البناء على الإنكار . وكذا مقام الكلام مع الذكييغاير مقام الكلام مع الغبيوارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسميه مقتضى الحال[1]».

يظهر من خلال قول السكاكي أنه هو كذلك يقر و يؤكد أن لكل مناسبة ولكل مجلس عبارات خاصة تقال فيها ولكل نخبة من النّاس عبارات نخاطبهم بها ، فلا يمكننا في مكان التهنئة أن نتلفظ بألفاظ حزينة توحي بالتعزية ، ولا يمكننا أن نتكلم مع الانسان المثقف كما نتكلم مع الانسان الجاهل ، فلكل واحد منهما منطق مختلف عن الآخر ولكل مكان خصوصيته ولكل مقام مقال يقال فيه .

« وما يفسر عدم وجود نظرية مستقلة عندهم هو أن وضع نظرية متكاملة لم يكن هو هدفهم وانما تأتي دراساتهم نتيجة الحاجة الى فهم مدلولات النصوص ومقاصدها[2]».

لم يهتم البلاغيون بوضع نظرية مستقلة للسياق لان هدفهم لم يكن ذلك بل هدفهم كان يتمثل في البحث و الكشف عن معاني ومقاصد النصوص ،والحديث عن مقتضى الحال يعتبر من أعمدة البحث البلاغي على مر العصور .

I.5. السياق عند المفسرين

يعتبر السياق وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في تحديد المعنى ، وقد أيقن وتفطن المفسرون الى أهميته منذ بداية تأليفهم في علوم القرآن ، وقاموا بوضع شروط لابد من توفرها في المفسّر، تلخص هذه الشروط مفهوم السياق بالنسبة لهم وتتمثل في :

- أن يكون عالما بالقراءات

[1] يوسف بن أبي بكر السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح نعيم زرزورة ،دار الكتب العلمية بيروت ، ط2، 1987 ، ص 80 .
[2] محمد عبد الله سيف ، البحث الدلالي عند الشوكاني ، ص 99.

- أن يكون متقنا لفن التعريف والاشتقاق
- أن يكون عارفا بعلوم النحو والبلاغة واللغة
- معرفة أوجه الاعجاز القرآني على مستوى النظم و اللفظ و الدلالة .
- معرفة ما تجري عليه لغة القرآن من ايجاز و تشبيه و استعارة و تلائم الحروف و الكلمات و الفواصل[1].

وأهم شرط هو : أنه يكون ملما بمعرفة أسباب النزول ، قال في ذلك الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان أسباب النزول»[2].

الكشف عن الدلالات و المعاني في القرآن الكريم يرتبط ارتباطا وثيقا بمعرفة أسباب النزول ، فالسياق الذي ترد فيه الآيات هو العنصر الأساسي لمعرفة و فهم ما تقصده الآيات فمثلا قوله تعالى :« وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ» الحجر-الآية-97- .

فمعرفة سبب نزول هذه الآية والمتمثل في : ما ألحقه الكفار من أذى وكلام جارح بالرسول صلى الله عليه وسلم حين قيامه بالدّعوة الى الايمان بالله و رسوله ، نزلت هذه الآية ليطمئن الله عز و جل أنه يعلم و عارف بما يشعر به رسوله الكريم .

يجعلنا نعرف مقصد هذه الآية و دلالتها وهو « إنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض صدر و ضيق فلا يهيدنك ذلك ولا يثنيك عن ابلاغك رسالة الله [3]».

وابن دقيق هو الآخر يقر بهذه الفكرة اذ يقول :« بيان أسباب النزول طريق قوية في فهم معاني القرآن[4]».

ملخص القول أن معرفة المفسر لسبب نزول الآيات القرآنية يفتح له آفاق كبيرة للكشف عن دلالاتها و معانيها.

[1] السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر ،شروط التفسير وآدابه ،تح فواز أمر زميلي بيروت لبنان ط1 ص17.

[2] الواحدي ابو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، أسباب النزول ، دراسة و تحقيق السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ،1990،ص 03.

[3] الامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير ابن كثير ، دار المستقبل ، مصر ، القاهرة ،ط1 ،2014،ص 859 .

[4] السيوطي : أسباب النزول ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، ط2 ،ص13 .

ومن ذلك قوله تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » -الأنفال ، الآية-75-

فسبب نزولها « عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آخى بين أصحابه ، فجعلوا يتوارثون بذلك ، حتى نزلت الآية الكريمة ، فتوارثوا بالنسب، فسبب النزول يوضح عدم جواز التوارث في غير ذي النسب من الأرحام وبذلك لم يعودوا يورثون غيرهم [1]».

إضافة الى إعتماد المفسرين على القرائن المقالية و الحالية في بيان دلالة الآيات القرآنية و التي تقوم بتمثيل السياق بنوعيه اللّغوي و غير اللّغوي .

فنقصد بالقرائن المقالية « أن يعتمد في شرح دلالة الوحدات الدلالية على ما يجوزها (يسبقها أو يلحقها) من وحدات أخرى ، اذ أن أبرز ما يتجلى فيه أثر السياق في تحصيله المعنى هو كون الوحدة اللغوية ، تستمد معناها أو جزءا منه من الوحدات التي تحيط بها » [1].

فاعتمادهم على القرائن المقالية يساهم بدور كبير في الكشف عن معاني و دلالات الآيات القرآنية . فالوحدات التي تحيط بالآيات تساعد المفسر في الوصول الى ما يهدف إليه.

وبالنسبة للقرائن الحالية « تشكل ظروف الخطاب وملابساته وتقابل سياق الحال أو المقام في النظرية الغربية الحديثة فتشكل الظروف و الملابسات التي حفت بنزول القرآن و الخلفيات الهامة في فهم معنى الآيات و دلالتها ومن أهم عناصرها نجد : المتكلم و ما يتصل بيه المتلقي و ما يتصل بيه العلاقة بين المتكلم والمتلقي ، الموقف الكلامي والظروف الخارجية للخطاب» [2]. أي أنها تمثل كل ماهو محيط بالكلام من ظروف خارجية وكذا قد قامت بتحديد عناصر الكلام .

نلخص في الأخير الى القول أن المفسرين تفطنوا و أدركوا دور وأهمية السياق في الكشف عن المعنى ورفع اللبس و الغموض وتفسير القرآن الكريم .

---

[1] هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2008، ص 219.

[1] مسعود بودوخة :السياق و الدلالة ،بيت الحكمة،الجزائر ،ط1 ،2002 ، ص 129

[2] المرجع نفسه ، ص 129

II. السياق عند الغرب

1.I. السياق في لسانيات النص

شغل السياق حيزا واسعا من الدراسة و البحث على مر العصور في مختلف علوم اللّغة و لعب دورا مهما فيها ، نخص بالذكر منها "لسانيات النص" ، ويعتبر السياق « الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص » [1].

وبالتالي فغياب السياق يؤدي الى وجود نص غير منسجم الأفكار وحضوره يؤدي الى تكوين نص منسجم الأفكار.

ويقر "براون و بول " أن :« السياق يلعب دورا فعالا في تأولي وفهم و تفسير النّص ...» [2].

فالسياق إذن هو أحد أهم أسس الدرس النصي ، وقد سعى " فنديك " جاهدا الى محاولة وضع قواعد تحكم على النص بالنصية أي أنّه عمل أدبي منسجم[3].لابد من توفر شروط في النص تمكننا من الحكم عليه أنه نص منسجم .

« ويتضح أن النّص القابل للفهم والتأويل هو القابل لأن يوضع في سياقه بالمعنى المحدد سالفا ، فكثير ما يكون المتلقي أمام نص بسيط للغاية (من حيث لغته) ولكنه يتضمن قرائن (ضمائر أو ظروفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الاحاطة بسياقه ، ومن ثم يمكن القول إنّ للسياق دورا فقعالا في تواصلية النص و انسجامه بالأساس »[4].

---

[1] صبحي ابراهيم الفقي : " علم اللغة النقي" ، يبين النظرية و التطبيق ، (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ج1 ، دار القباء للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2000 م ،ص106 .

[2] محمد الخطابي :" لسانيات النص " ، مدخل الى انسجام الخطاب ،ط1، المركز العربي ، بيروت ،1991 م ، ص 52 .

[3] براون و بول : "تحليل الخطاب" ، ترجمة، محمد لطفي الزليطي، منير التريكي ، النشر العلمي و المطابع ، جامعة الملك سعود ، المملكة السعودية ، 1993 م ،ص 57 .

[4] احمد عفيفي ،نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرف ، 2011 م ، ط1 ، ص 47 .

ويظهر جليا من خلال هذا القول دور السياق في انسجام النص فبغيابه يجعل القارئ في حلقة مغلقة لا يفهم ما يجري حوله و ان كانت لغته سلسة ومفهومة الا أن قرائنه تجعله مبهم وغامضا و نضرب بهذا مثالا ورد في كتاب " تحليل الخطاب " [1] :

شطر هذا النص المأخوذ من بداية حديث لطالبة اسكوتلندية في السادسة عشرة من عمرها عن صورصامبي المتحركة :

أ- كان رجل و امرأة جالسين في غرفة الجلوس + وكانت المرأة تقرأ و هي جالسة بكل سرور شعر الرجل بالملل فقط الى النافدة و نظر الى الخارج + ثم غير ثيابه و خرج من البيت

على القارئ أن يفهم أن المقصود : بالمرأة و هي جالسة بكل سرور هي (المرأة) الي سبق ذكرها ، ولهذا فعليه أن يقولب فهمه حتى تكون جالسة تقرأ بكل سرور في غرفة الجلوس وبالطريقة نفسها ، لابد من فهم

" النافدة " على أنها نافدة الغرفة ، وتواصل المتكلمة حديثها مع حصول تغيير في الموقع وعلينا أن نفترض أن يلحق من أحداث حصل في الموقع الجديد :

ب- هاهو يذهب الى أحد النوادي ويشرب الدخان و يتكلم مع الساقي + ثم يرقص مع فتاة جميلة لها شعر أسود طويل + يقضي وقتا ممتعا +.....

نحن نفهم كل ما يحدث هنا على أنه يحدث للرجل الذي لقيناه [1] في غرفة الجلوس و الذي يوجد حاليا في النادي ، هكذا نجده قد شرب قدحا وتحدث الى الساقي وقضى وقتا ممتعا ، كل هذا في « في النادي » ثم تعلن المتكلمة عن تغيير آخر في موقع .

جـ- ثم يعود الى البيت ويكلمها + وزوجته تسترق السمع + ومرة أخرى نفترض أننا لا نزال نتكلم عن الرجل نفسه وأنه قد عاد الى البيت أي الى الموقع الذي وجدناه فيه « غرفة الجلوس » أولا ، ولكن المحلل الآن ربما يحتا في فهم « ويكلمها » إذ أنه ربما ذهب به الظن أن الرجل يخاطب زوجته . ولكن هذا التأويل يلغي السياق

[1] براون و بول : "تحليل الخطاب" ، ترجمة وتعليق، محمد لطفي الزليطني، منير التريكي ، النشر العلمي و المطابع ، جامعة الملك سعود ،الرياض ، المملكة السعودية ،ص 58

[1] المصدر السابق ، ص 58-59 .

النصي الذي يليه مباشرة « وزوجته تسترق السمع »،لهذا فاننا مجبرون عل فهم « يكلمها » بمعنى «يتصل بها هاتفيا » أو أن العنصر « ها» يعود على « الفتاة الجميلة ذات الشعر الاسود الطويل التي راقصها و قضى معها وقتا ممتعا » . وهذا خير مثال على تبيان دور السياق في انسجام النص و تواصليته ، فكما أشرنا سابقا أن عدم الاعتماد على السياق في عملية الفهم يجعل القارئ أو المتلقي في حالة غموض و إبهام ، فالأمور حوله تبدو غامضة وغير واضحة .

باعتماد السياق تتضح الأمور و تسهل عملية الفهم ، ويحكم على النص بالنّصية فوجود فقرات غير مترابط سياقها لا يمكن أن يحكم عليها بالنصية .

« ويشكل النص ومحتوياته أمرين متكاملين ، فكلاهما يعضد الآخر ويقويه ، لان النص يحتوي على مكونات لسياقات لغوية في المواضع التي توجد فيها و السياقات هي التي تقوم بغلق هذه المكونات و ايجادها» [1].

تعتبر علاقة النص بالسياق علاقة متكاملة فكلاهما يكمل الآخر ولا معنى لأحد دون الآخر .

« ومن ثم فإن النص لا يتم تحليله لغويا الا بواسطة التفاعل بين المبدع و المتلقي ، بين جسد النص و مدلولاته الحديثة الزمانية والمكانية ، انه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية و التحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دورا اساسيا عند التحليل ».

لا يمكن تحليل النص الا اذا تفاعل المتلقي مع الظروف الخارجية للنص وهذا تصريح واضحا لأهمية السياق خلال عملية التحليل .

« غير أن "فنديك" لم يكن يبحث عن تحليل للخطاب بقدر ما كان يبحث عن منطقية النص ورغم ذلك لم ينجح في اثبات هذه المنطقية» .

ويدل على ذلك ، ماقدمه جون ليونز في كتابه " اللغة و المعنى و السياق " حين قرر المثال التالي :

Have you seen Mary? I haven't. Peter hasn't ether. She is never here when she should be.

[1] أحمد عفيفي ، " نحو النص" اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص 47 .

وقد أكد نصية هذه المتتالية الجملية ، في حين رفض قاطعا قبول نصية المتتالية الجملية ذاتها حين أضاف إليها بعض التحسينات. إذ لا يمكن عدّ التحسينات التي أضافها " جون ليونز" ، من قبيل تلك التي عدها فنديك نصوصا فوق تامة ، أو تحت تامة ، والنص المحسن هو التالي :

(Have you seen Mary? I have not seen Mary. Peter not seen Mary (ether). Mary is never here when she should be) . » [1]

فنديك لم يعطي اهتماما للتحليل بقدر ما أعطاه الى نصية النص حيث كان يسعى الى تحقيق هدف واحد و يتمثل في ايجاد شروط وقواعد تحكم على النص اما بالانسجام والترابط أو تلغي ذلك الحكم .

« أمّا بالعودة الى مسألة الربط بين النّص و السياق فهو أمر بالغ الأهمية في الدراسة النصية و لا يمكن أن نصل الى فحوى النص بدوها» [2].

وفي هذا الصدد « يرى هايمز ان للسياق دورا مزدوجا إذ يحصر مجالات التأويل الممكنة و يدعم التأويل المقصود» [1].

ومنه فإن السياق يقوم بحصر عدد المعاني وكذلك يقوم بتحديد المعنى المقصود وبذلك له دور كبير في عملية الفهم .

وقد قام كذلك بتصنيف خصائص السياق وتتمثل في : [2]

(المرسل،المتلقي، الحضور، الموضوع، المقام، القناة، النظام، شكل الرّسالة، المفتاح، الغرض).

أما ليفيتش فهو الآخر قام بمحاولة لتحديد خصائص السياق و التي تتمثل في : [3]

[1] عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد النظرية ... وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الاردن ، 2004 م ، ص89 .

[2] المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية ، م 5، ع2 ،ب2020،3 م ،ص49 .

[1] علي آيتاوشان : السياق و النص الشعري ، من البنية الى القراءة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2000م ، ص 96 .

[2] نفس المصدر ، ص 96-97 .

[3] نفس المصدر ، ص 97-98 .

(العالم الممكن ، الزمن ، الزمان ، المكان ، المتكلم ، الشيء المشار إليه ، الخطاب السابق ، التخصيص)

.

وبناءا على ما سبق ذكره نلخصه في الأخير أن النص و السياق عاملان متلازمان ، لا أحج منهما يفرق عن الآخر ، ولا أحد منهما يغيب عن الآخر فكلاهما يخدم الثاني لأنها عبارة عن تفاعل لغوي يبرز المعنى .

2.I. السياق في التوليدية التحويلية

لقيت نظرية تشومسكي في الدرس اللّغوي الحديث رواجا كبيرا حيث قيل في هذا الصدد : « إن أيّة نظرية لغوية لا يمكن أن تتجاهل نظرية تشومسكي بل ان مكانة أيّة نظرية و انجازها في حقل الدراسات اللّغوية المعاصرة يحدد بمدى صلتها بنظرية تشومسكي قربا أو بعدا نقدا أو تعديلا »[1].

وبالحديث عن تأثير السياق على هذه النظرية فيمكن القول أنها اتخذت طرق للتحليل النحوي معتمدة على السياق اللغوي كركيزة أساسية لهذا التحليل وأهمها:

1- طريقة القواعد النحوية :

« ومبدأ هذه الطريقة هو قيامها على مجموعة من الاختيارات تخلص في الأخير الى توليد الجملة النحوية ، وهذه الاختيارات تتحدد باختيار العنصر الاول للجملة ثم العنصر الذي يليه وهكذا على أن يقوم بمراعاة الترابط السياقي بين تلك العناصر، ويطبق ذلك سواء في الجملة الفعلية أو في الجملة الاسمية ، فإختيار العنصر الاول يترتب عليه اختبار العنصر الثاني مما يترابط معه سياقيا»[2].

ويوضح ذلك في الشكل الآتي :

هذا	العلماء	مجتهدات
هذه	الفلاح	المجتهد
هؤلاء	القائد	كريمة

[1] جون ليونز : نظرية تشومسكي اللّغوية ، تحقيق حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، ط1، 1985 م ،ص 67.

[2] عبد النعيم

الرجل	الطالب	مجتهدون
العلم	الطالبة	محبوب

« فلو اخترنا كلمة " هذا " بداية للجملة فإنه يمكن أن نختار معها من العمود الرئيسي الثاني الكلمات التالية: الفلاح ، القائد ، الطالب ولو اخترنا كلمة الفلاح مع كلمة "هذا" فإنه يمكن أن نختار معها من العمود الرئيسي الثالث الكلمات: المجتهد ، محبوب ... إلخ ، وهكذا تكتمل الجملة أما لو اخترنا كلمة "هذه" أو "هؤلاء" فإنه يترتب عليه اختيار الكلمات التي تترابط سياقيا في بقية الأعمدة »[1].

وهي ما تسمى بنظرية النحو التحويلي أو القواعد التحويلية التي تقوم على تحديد كيفية الانتقال من المستوى المحدد للبنية العميقة الى الشكل النهائي للجملة « وعدّ عنصر الدلالة وحدا من العناصر التي تساعد على التحليل اللّغوي ، حيث جعل البنية العميقة تعتبر عن المعنى بعد أن تكون في القواعد النحوية الذي يهدف اليه البحث اللّغوي لابد أن تكون فيه القواعد محدودة وقادرة على توليد جميع الجمل الممكنة ومتصفة بالشكلية والاستقلال عن المعنى» [1].

فالبنية العميقة و السطحية « مجموعة من العمليات التحويلية وفق قواعد تسمى قواعد التحويل» [2].

وهي على قسمات : قواعد تحويلية اختيارية وقواعد تحويلية اجبارية « وهذه القواعد تتضمن في شكلها قدرا من الاهتمام بالجوانب الدلالية بإدخاله عناصر المعنى في نموذج التحليل لمكونات الجملة وهذا الادخال لعنصر المعنى في التحليل في نظرة " تشومسكي" قاده الى ما يشبه بالرصف لدى النظرية السياقية وان كان بعمق أكبر من حيث أنه لا يقف عند حدود الترابط المعجمي فقط بل يشمل كذلك الترابط النحوي تبعا للمفهوم العام لما يقومه

[1] المرجعالسابق،ص294.

[1] نايف حزما : اضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة ، علم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1978 م ، ص118 .

[2] جون ليونز : نظرية تشومسكي ، ص 158 .

" تشومسكي " من دمج واضح لكل مستويات الدرس اللّغوي في شكل قواعد يندرج من البنية العميقة الى البنية السطحية». [3]

نلاحظ إذن أن تشومسكي اهتم بعنصر الدلالة التي تقوم عليه النظرية السياقية، ولم يقف فقط على الترابط المعجمي بل يتجاوزه الى ما يسمى بالترابط النّحوي .

اضافة الى النظرية التحويلية "كانفورد" « أدخلت في النظرية التوليدية التحويلية ما يسمى بقيود التوارد». [1]

ويعتبر هذا المصطلح من أهم ما جاء في النظرية التوليدية التحويلية من اعتماد على السياق اللّغوي بوصفه مجموعة من العلاقات المعجمية و النّحوية، إذ يعني التحويليون بالاختيار المقيد « التناسب الدلالي بين ألفاظ العبارة فالفعل لابد أن يتناسب مع الاسم الذي يصاحبه أي الفاعل و المبتدأ» .[2]

ومنه فإن النظرية التوليدية التحويلية تهتم بصحة الجملة من طرفين الأول من جانب الصحة النحوية و الثاني من الصحة الدلالية ، مثال جملة «الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة » .[3] فهي جملة غير مقبولة حتى وهي صحيحة نحويا لكن لا معنى لها و كذلك جملة « عن الحديث الموسيقي كتاب قرأت» [4] جملة غير مقبولة كونها غير صحيحة نحويا ، و عليه فالجملة تكون مقبولة إذا توافقت و السياق نحويا و معجميا .

I.3. السياق في البنيوية

يلعب السياق عند البنيويين دورا هاما في تحليل عناصر اللغة مجتمعة مع بعضها البعض دون عزل عنصر عن عنصر آخر، كما خصوه بنظرية قائمة بذاتها و هي " النظرية السياقية، ويتزعمها " جون فيرث"، وإن كان الفضل يعود أيضا إلى مختلف المدارس البنيوية، و التي تتمثل في أربعة مدارس، و هي مدرسة جنيف، المدرسة التوزيعية، ومدرسة براغ، ومدرسة لندن:

1- مدرسة جنيف :

[3] المصدر السابق ، ص 160 .

[1] عبد اللطيف حماسة : النحو و الدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 2000 م ،ص96 .

[2] المرجع نفسه ، ص 96 .

[3] نعوم تشومسكي : البنى النحوية ، تريؤيل يوسف عزيز ،بغداد ، ط1 ، 1987 م ، ص 19 .

[4] المصدر نفسه ، ص 20.

وتعرف أيضا باسم " المدرسة البنيوية التقليدية "، يتزعمها فرديناند دوسوسي، مؤسس المنهج البنيوي.

أحدث الاهتمام بالسياق تغيرا جذريا في مسار الدراسة اللسانية البنيوية، التي لم تعد تنظر الى السياق الخارجي على أنه عنصرا خارجا عن النظام الشكلي للغة، إنما توسعت نظرتهم لتشمل المحيط الخارجي ومراعاة الظروف غير اللّغوية في العملية التحليلية، وهذا يعتبر بداية التنبه الواعي لبعض المميزات البارزة في السياق منها: أن له الفضل الكبير في تحديد المترادف والمشترك اللّفظي، وكما يساهم في تأويل و تحليل المقولات و ربط اللغة بغيرها من العلوم الأخرى كعلم الإجتماع، علم النفس... إلخ.

وخلاصة هذا القول أن الفضل في ذلك يعود إلى: « مدرسة لغوية حديثة سميت بمدرسة "دو سوسير " وقد كان لها الفضل في دخول الدراسات اللغوية مرحلة جديدة من مراحل البحث و التحليل، وأساسا دائما اللغة القائمة على منهج جديد باعتبارها مجموعة من العناصر المتشابكة مع بعضها، ولا قيمة لأي عنصر خارج شبكة العناصر، إذا لم تكن له علاقة بغيره، أو هي نظام من العلاقات اللغوية المرتبطة مع بعضها البعض »[1].

ملامح النظرية السياقية في المدرسة البنيوية :

لقد فرّق دي سوسير في هذا الشأن بين ثلاثة مصطلحات وهي: اللّغة Langage، و اللسان Langue، و الكلام Parole؛ فالأول وهو اللّغة عبارة عن نظام من الدلائل، يعبر عما للإنسان من أفكار وهي في أوسع معانيها باعتبارها ظاهرة انسانية عامة، وهي تختلف بهذا المفهوم عن المقصود بالمصطلح الثاني عنه، إذ يعني اللسان أو اللغة المعينة كاللغة العربية أو الانجليزية مثلا التي تشمل على نظام من المفردات، والعناصر المترابطة و المعجمية، والنحوية و الفونولوجية، أما المقصود بالمصطلح الثالث وهو الكلام فهو يعني ما يترجمه الفرد من هذه القواعد في صورة كلام فردي، فهو يخضع من جانب للنظام الفردي المتحدث به، بينما اللغة في حقيقتها نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، والكلام هو الأداء الفردي للغة الذي يتحقق من خلال هذا النظام.[2]

بمعنى أنه فصل اللغة عن الكلام في دراسته اللغوية، كون اللغة لا تنفك عن السياق الاجتماعي باعتبارها ظاهرة اجتماعية موجودة لدى جميع الافراد، عكس الكلام الذي يعد انجازا فعليا لها؛ « فمثلا نجد أن البنية

[1] صادق يوسف الدباس ، دراسات في علم اللغة الحديث ، دار أسامة ، عمان ، ط1 ،2012 م ، ص 179 .

[2] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007م،ص263-264 .

للأصوات و العلاقة بين النطق و الصرف، لا يمكن للباحث اللغوي إلا أن يلحظ الصلة المتينة بينها ، فإطالة الحركة في كلمة مثل "سافر" تجعلها مختلفة من كلمة "سفر"، وزيادة النبر على مقطع من المقاطع التي تتألف منها الكلمة يمكن أن تغير صيغتها الصرفية مثلما نجد في كلمة "Star" الانجليزية، فالإرتكاز على المقطع الأخير يجعل منها أسماء في حين أن الإرتكاز الأول يجعل منها فعلا، وهذا النوع من التغير ينسب الى السياق اللغوي » [1]. وانطلاقا من هذا القول يمكننا أن نوضح العلاقة الموجودة بين المتكلم، و السامع، لأن هذا الاخير هو الذي يحدد موضع الإرتكاز المسموع داخل المقاطع الصوتية، و الأخذ بالعادات النطقية و السمعي، و الإدراكية لدى المجتمع اللغوي في تحديد المعنى. ومنه فالعلامة اللغوية يتغير معناها بتغير البيئة التي يحدد فيها الأداء الكلامي.

وقد شبه هذا النظام اللغوي بلعبة الشطرنج في بيان طبيعة العلاقات؛ فيقول: «تشغل كل قطعة في لعبة الشطرنج مواضع مختلفة في سير المباراة طبقا للعلاقات بين بعضها و البعض، وهذه المواقع التي تأخذها هي التي تكسبها قيما جديدة، وعلى سبيل المثال فإن البيدق يمكن أن يأخذ موقع الدفاع أو يخرج من المعركة هذه القيمة نفسها قد تكتسبها الوحدات اللغوية فإنها تتميز بالدور الفعال الذي تؤديه وهكذا فإن حرف A ذو قيمة اتصالية كأداة للتنكير وقد يستخدم في بعض الأحيان كبادئه [2]». وفي هذا القول إشارة على دراسة اللغة كنظام مركب من مجموعة من العناصر اللغوية الداخلية دون عزل عنصر آخر، فكل تغيير يصيب عنصر منها يؤثر على العناصر الأخرى، بل و على النظام كله كما هي أحجار الشطرنج التي تتقيد بقوانين اللعبة سعيا وراء تفسير العلاقة بين الدال و المدلول بأنها علاقة اعتباطية ويمكن توضيح هذه العلاقة من خلال توضيح المخطط التالي :[1]

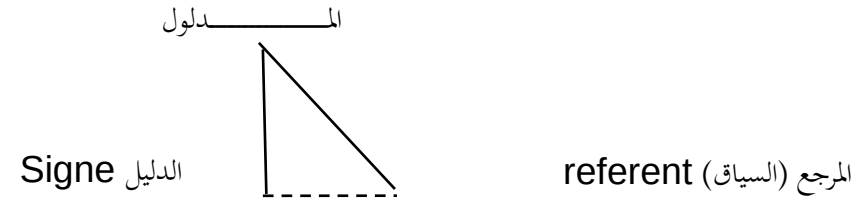

[1] ابراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص30 .

[2] المرجع السابق ، ص267 .

[1] عبد الخليل منقور ، علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 م ، ص62.

فالمعنى المرجعي: يعني الشيء الخارجي (السياق الخارجي) الذي يحيلنا عليه الدليل الساني و ندرج فيه كل الأشياء العادية و المعنوية، ومن المراجع لا توجد إلا في إطار الخطاب اللغوي فمثلا كلة " صدق" أو "كذب" تسجل في الخطاب اللغوي، ولكن لا تبرز قيمتها الا داخل المجتمع اللغوي .

ومن هنا نرى أن "دي سوسير " قد استحضر السياق بأكمله حينما راعى الظروف،و الملابسات، و الموضوعات، و الأشياء المحيطة باللغة التي كان لها الدور الكبير في بناء نظريته، و ذلك إنطلاقا من تفريقه بين المصطلحات الثلاث التي سبق وأشرنا إليها (اللغة، الكلام، واللسان) ويمكن أن نسميه بالسياق المقامي، وحديثه عن لعبة الشطرنج التي تمثل كل قطعة منها حدثا لغويا معينا، فاللعبة لا تكون لعبة الا اذا احتكمت الى قواعد مهما كانت ثلث القواعد بسيطة أو متناقضة وكل قطعة من هذه اللعبة لا تؤدي دورها بعيدة عن القطع الأخرى، كذلك الحدث اللغوي يجب أن يأخذ مكانه في إطار الأحداث اللغوية الأخرى التي تمثل فيما بينها ما يدل على السياق اللغوي .

2- الوظيفية و السياق :

عرفت مدرسة براغ بما يسمى بالمنهج الوظيفي الذي يركز في التحليل اللغوي لتراكيب اللغة على طريقة استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال وتواصل يستخدمها أفراد المجتمع الواحد لتلبية أهدافهم، و حاجياتهم ،حيث برزت ملامح النظرية السياقية عند أصحاب هذه المدرسة وعلى رأسهم "رومان جاكبسون"، و "نيكولا تروبتسكوي"، وغيرهم من اللغويين الذين اهتموا بدراسة الوظيفة الإبلاغية للّغة، و الدراسة الفونولوجية، و خاصة علاقة الصوت بالمعنى الذي يتصل مباشرة بالسياق اللغوي، ولعل من العلاقة الموجودة بين اللغة والواقع غير اللغوي أدى الى تغيير في معنى اللفظتين بصورة آلية .

ملامح السياق في المدرسة الوظيفية :

يفرّق " تروبتسكوي" بين نوعين من الدراسة الصوتية: « الأول يختص بدراسة ووصف اللغة مجردة من سياقاتها النطقية أي مستقلة عن غيرها، ومنعزلة خارج البنية اللغوية، وبالتالي يختص بدراسة النظام الصوتي للغة. وقد أطلق على هذه الدراسة اسم الفونولوجيا، وكان هذا التمييز على أساس أن السمات التطبيقية و السمعية للصوت منعزلا عن السياق أي مجردا، تختلف عن سماته النطقية و السمعية وهو في سياق صوتي وذلك من منطلق

تأثر الأصوات بعضها ببعض على مستوى التركيب، فإذا قلنا أن النون/ن/ صامت مجهور أغن فنحن نصف هذه النون باعتبارها وحدة صوتية أو صوتا منعزلا غير متصل أو مجاورة لغيره من الأصوات، ولكن ثمة درجات أو تنوعات من النون بحسب سياقها الصوتي فالنون مثلا في كلمة " نهر" من الناحية الصوتية، الخاصة أي من حيث تكوينها النطقي و الفسيولوجي غير النون في كلمة منك، عنك. غير أن النون في كل هذه الكلمات هو الفونيم /ن/ حيث لا تؤدي الى اختلاف في المعنى بين هذه الكلمات، إذ شروط الفونيم أن يحمل معنى دلاليا على مستوى الكلمة ففونيم /ن/ يحمل معنى في كلمة نام؛ فهو الذي جعلها تختل عن كلمة "قام" أو "حام" مثلا لكن النوم في الكلمات السابقة كلها هو فونيم/ن/ سواء كان مرققا أو مخفما » [1]. ونلاحظ هنا أنه يمكننا استبدال صوت بصوت آخر من نفس اللغة في سياق واحد دون أن يحدث اي تغيير في معنى الكلمة، في حين قد يكون الصوتان وجهان اختياريان لفونيم واحد فيؤدي استبدال فونيم بفونيم آخر الى تغيير في المعنى بصورة آلية .

أما اهتمامات الوظيفيين في دراستهم وظائف اللغة تتضح عند "كارل بوهلر" الذي يقسمها الى ثلاثة أقسام وهي:« التعبير بالنسبة الى المتكلمين و الاستدعاء بالنسبة الى السامع و العرض بالنسبة الى الشيء المعبر عنه » [1]. بمعنى أن المتكلم وهو الطرف الأول في العملية التواصلية فيعبر عن شئ ما ، وفي مقابل ذلك يقوم المتلقي وهو الطرف الثاني في عملية التواصل بدور التحليل و الاستدعاء، فيتم بذلك عرض وفهم هذا المعبر عنه، وبهذا يكون "كارل بوهلر" قد ربط كل وظيفة لغوية بعنصر من عناصر السياق .

كما عرض "رومان جاكبسون" إلى مجموعة من العوامل السياقية فجعل لكل عامل منها وظيفة معينة، ويمكن توضيح هذه العوامل من خلال المخطط الآتي : [2]

[1] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007 م ، ص 268 – 269 .

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة ، قسم الدراسات العليا ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،1418 هـ .

[2] رومان جاكبسون : قضايا شعرية ،تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988 م ، ص31-33.

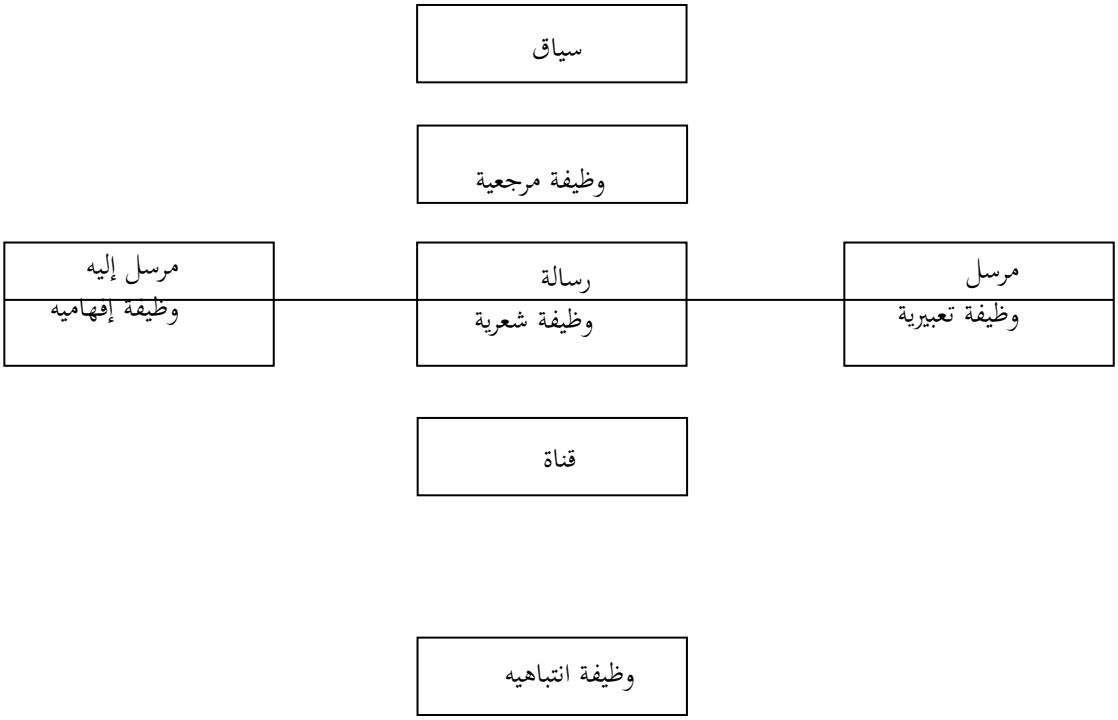

فحسب مخطط جاكسبون يظهر لنا أن العملية التبليغية تستدعي ستة عوامل « المرسل الذي يرسل رسالة لغوية الى المرسل اليه غير أن هذه الرسالة، لكي تكون مؤثرة في المستمع و المتلقي لابد أن تقتضي بداء سياقا أو مرجعا تحيل عليه، ثم لسننا (code)، مشتركا بين المرسل و المرسل إليه [3]».

ومنه فإن هذه الوظائف الستة و إن كانت جميعها ضرورية في تفسير السياق بنوعيه إلا أن "رومان جاكبسون" يولي عناية خاصة بالوظيفة المرجعة باعتبارها تعبر عن السياق الخارجي وعالم الأشياء و الموجودات؛ فهي تقوم بتحديد الصلات القائمة بين الرسالة و بين السياق أي المرجع الذي تحيل إليه، فتوضح علاقة الدال بالمدلول، ومعنى الشيء الذي لا يتحقق إلا عن طريق معرفة مختلف ظروف التواصل وشروطه؛ أي معرفة المقام أو سياق الحال، وبالتالي فهي جمعت جل العناصر اللغوية من كلمات و جمل غير لغوية (العالم الخارجي)، فنفهم من كل هذا أن السياق وظيفة تؤديها اللّغة، و المرجعية هي وظيفته .

[3] مختار لزعر : اللسان ، اللغة و الكلام من التفريط السياقي الى الافراط النسقي ، دار الكتاب الحديث ، ط1 ، القاهرة ، 2010 م ، ص 131 .

فمما سبق يتبين لنا أن أعلام المدرسة الوظيفية أكدوا على أهمية سياق الحال في العملية التواصلية وحصروه في قواعد التواصل اللغوي ، وذلك من أجل الكشف عن الوظيفة المرجعية المهيمنة في سائر الوظائف الأخرى خاصة في عملية التبليغ .

3- المدرسة السلوكية :

السلوكية اتجاه لساني معاصر ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية يقوم على أساس المذهب السلوكي في علم النفس، والذي نهدف إليه في هذا المقام هو التعرف على الجوانب السياقية عند هؤلاء اللغويين فنجد " بلومفيد": « والذي أكّد بالدليل أن القوانين العامة الوحيدة المفيدة بالنسبة للغة هي القوانين الإستقرائية، و عرف معنى الصيغة اللغوية بأنه الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى و الاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع [1]». فحسب بلومفيد فإن المعنى يتحدد وفق المقام الذي يتحدث فيه المتكلم لهذا: « قد ربط المعنى الدلالي بالظروف و الملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي سواء أكانت هذه الظروف والملابسات لغوية أم غير لغوية، وهذا مبدأ تسعى إلى تحقيقه النظرية السياقية من خلال ربط الحدث اللغوي بالأحداث اللغوية و غير اللغوية التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بالكلمة و التي تساعد في وضوح الدلالة » [2]. ومنه نلاحظ أن بلومفيد اهتم بالسياق لكنه لم يتحدث عنه صراحة، وإنما أشار إليه من خلال حديثه عن المثير و الاستجابة. فيشير «من خلال قصته المشهورة "جيل وجاك"، حيث أنهما كانا يسيران في الطريق حيث ترى جيل تفاحة على شجرة، فتسأل (جاك) أن يحضرها لها، يتسلق (جاك) الشجرة، ويعطيها التفاحة، تأكل (جيل) التفاحة فجوع (جيل) ورؤيتها التفاحة يشكلان المثير (م) وبدلا من استجابتها المباشرة (س) يتسلقها الشجرة، عملت استجابة بديلة (س) في شكل منطوق معين، وهو المثير البديل [3]».

لذا درج هذه الواقعة تحت ثلاثة أقسام هي:

1. الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي: هي بحد ذاتها السياق الذي يحدث فيه الكلام، و إشارته إلى هذا الأمر إشارة إلى السياق، ومنه فإنّ السياق هو الذي يؤدي إلى إختيار طريقة معينة للكلام.

---

[1] مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، دار الايام للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط1 ، 2014 م ، ص44.

[2] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007 م ، ص273 .

[3] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 2006 م ، ص 62 .

2. الكلام ؛

3. الأحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي: هي سياق الاستجابة التي هي بحد ذاتها الظروف اللاّحقة للكلام.

أي أنّ هذه العناصر الثلاثة تشمل كل ما يحيط بالمتكلم من أشياء خارجية تدفعه للكلام و ورود فعل الاستجابة من طرف المتلقي وقد يحدث العكس . فالسياق عند بلومفيد يتصادر بنوعيه (السياق اللغوي و سياق الموقف) في مفهومي المثير و الاستجابة.

4- السياق ومدرسة لندن :

تبنت مدرسة لندن المنهج السياقي الذي كان يعمل على ابراز الوظيفة الاجتماعية للغة ، و يعود الفضل في ذلك الى " فيرث " الذي كان متأثرا بالأنثربولوجيا : «حاول فيرث وهو يصوغ نظريته السياقية ان يطبق أفكار مالينوفسكي » [1]. ف " مالينوفسكي" كان أنثربولجيا ، وكان يقر بأن الكلمات والعبارات و الجمل تقوم بأداء وظيفتها اللّغوية في اطار خارجي . وكذلك فيرث حيث « ذهب مثله اليه التفوهات اللغوية (كلمات أو عبارات أو جمل) إنما تؤدي وظيفتها في اطار خارجي » [2] . اضافة الى ذلك فقد اعتبر أن الجملة لا تؤدي أي وظيفة إلاّ اذا اتصلت بعناصر أخرى .

« ذلك أن الجملة هي وحدها وحدة الاستخدام الكلام ولم تعد كما كان ينظر إليها في النحو التقليدي وحدة فكرية ، او وحدة للكمال النحوي وأصبحت بدلا من ذلك وحدة اتصال في الموقف الخارجي للسياق ومن هنا فقد استبعد فيرث كل المعايير العقلية » [3].

اذن فالجملة في نظر فيرث عبارة عن أداة أو وسيلة اتصال بالموقف الخارجي للسياق و فيرث يرفض ان نكون نعتبرها أداة للكمال النحوي ويستبعد كل المعايير العقلية .

---

[1] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية و البنيوية و التركيبية في ضوء نظرية السياق)، دار الكتب ، 1991 م ، ص 48 .

[2] المصدر نفسه ، ص 48 .

[3] أحمد مؤمن اللسانيات ، النشأة و التطور ، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2005 م ، ص173 .

« أكدّ فيرث على أهمية السياق الخارجي أو المقام في عملية تحليل المعنى و ضرب مثالا بالعبارة الانجليزية : Say when ، فهذه العبارة لا معنى لها إلاّ إذا وضعت في سياقها ، ويختلف معناها باختلاف السياق الذي ترد فيه »[1].

فإن قمنا بتوظيفها بالشكل الآتي :

- Say when is your birthday ?

تعني : متى عيد ميلادك ؟

- Say when summer comes ?

تعني : متى يدخل فصل الصيف ؟

- When you finish studying , say when do you set your wedding day ?

تعني : عندما تنهي دراستك ، أخبرني متى يوم زفافك ؟

كما وضحنا في الأمثلة ، فإن الاختلاف في المعنى ينتج عن الاختلاف في السياق الذي تقال فيه .

إلى جانب السياق الاجتماعي دعا فيرث الى مراعاة نوع آخر من السياق و (السياق اللغوي) »[2].

أكد وأقر فيرث على نوعين من السياق هما " السياق الاجتماعي " و " السياق اللغوي " . ويمكن أن نستخلص أسس النظرية السياقية عند فيرث فيما يلي : [1]

1- النظرة المتساوية الى عنصري السياق في عملية التحليل الدلالي وهما : السياق اللغوي و سياق الموقف.

2- النظر بالتساوي الى عناصر السياق اللغوي .

[1] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، ص 49.

[2] المصدر السابق ، ص 49 .

[1] المصدر السابق ، ص 51-52 .

3- الرفض بالمطلق لما يسمى بالوظيفة الاساسية لان كل وظيفة تؤذي هي وظيفة أساسية في المقام الذي قيلت فيه .

4- النظر بالتساوي الى كل أنواع الاستخدام اللغوي .

5- اللغة ليست نظام شكلي فحسب بل هي جزء من النتاج الاجتماعي .

6/ وحدة الاستخدام اللغوي الاساسية هي الجملة .

7/ ان المعنى في مفهومه النفعي أو العملي ذا طبيعة متغيرة وذلك نظرا لارتباطه بالكلام الفعلي .

وقد عمل فيرث جاهدا من أجل تطوير نظريته السياقية خاصة فيما يتعلق بالسياق اللغوي .

« إذ أضاف ما يسمى بالنظم أو الرصف الى عناصر تحليل هذا السياق ... ويقع بن مستوى السياق الخارجي و المستوى النحوي وهو مسؤول عن تحديد المعنى المعجمي » [2].

طور فيرث نظريته خاصة في السياق اللغوي حيث قام بإضافة عنصر لها في التحليل ، وهذا الاخير هو الذي يقوم بتحديد المعاني . وهو نوعين: [3]

الرصف الاعتيادي و الرصف البليغ.

وفي الأخير نستنتج أن نظرية فيرث السياقية قدمت الكثير للبحث اللغوي في مجال السياق ، وأنه اهتم بنوعين من السياق وهما سياق الموقف و السياق اللغوي .

I.4. السياق في التداولية

تسعى التداولية الى دراسة اللّغة في حيّز الإستعمال الفعلي، حيث ترتبط بالبحث في المعنى قديما و حديثا ببعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل و التفسير، فكان للسياق الشأن الكبير في تحليل النص ضمن التنظير التداولي في جميع مستويات اللّغة (مستوى ثقافي، اجتماعي ...).

[2] المصدر السابق ، ص 52 .

[3] المصدر السابق ، ص 53 .

ونلاحظ أن جهود القدماء تتقاطع مع التداولية كاتجاه لساني معاصر في بعض عناصر السياق، فقد قامت التداولية بدراسة المعنى في ثلاث مستويات، وذلك حين قسمت "فرانسواز أرمينكو" التداولية إلى ثلاثة درجات تتباين تبعا لتباين السياق وهي:[1]

1- تداولية الدرجة الأولى: وتتمثل في دراسة الرموز الإشارية (les symboles indexicaux) ، والسياق عندما يتمثل في الإهتمام بالمتخاطبين ومحددات المكان والزمان.

2- تداولية الدرجة الثانية : وتهتم بدراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظة، والسياق بمعناه الموسع هنا (ستالنكر) يمتد الى ما يحدس بيه المخاطبون، انه سياق الأخبار و الإعتقادات المتقاسمة، لا السياق "الذهني".

3- تداولية الدرجة الثالثة: وتتمثل في نظرية أفعال الكلام، ويتعلق الأمر فيها بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية.

وبالتالي تتخذ التداولية لنفسها أسس تشغيلها للسياق من خلال رصدها العلاقات بين المتخاطبين و الكشف عن مقصد المتكلم الظاهر و الخفي، وزمان ومكان الفعل الكلامي، وغيرها ... إلخ، وحسب رأي " براون و يول": « أنه من الضروري أن تعرف على الأقل من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان و مكان إنتاج الخطاب »[2]. بمعنى أنه ليس من الضروري الإحاطة بكل عناصر السياق و إنما يكفي التعرف على المتكلم، والمخاطب، والرسالة.... إلخ، ومنه يحصر السياق بقوة في التداولية حتى سميت بالنظرية السياقية عند " ماكس بلاك ".

ويمكن القول بأن مفهوم السياق داخل دائرة التداولية تجاوز الإصطلاح الى الإجراء العلمي، ليس هذا فحسب، بل إنّ السياق كما يرى " علي آيت أوشان" في تحليله المفهوم عند " فرانسواز أرمينكو " مفهوم مركزي يمتلك الطابع التداولي السؤال يطرح نفسه من أين يبدأ السياق ومن أين ينتمي؟. بمعنى آخر كيف نحدد بدايته و نهايته؟، والحقيقة أن هذه الطريقة تجعلنا نتعرف على جملة من السياقات تتمثل فيما يلي:[3]

[1] علي آيت أوشان ،السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ،الدار البيضاء ،ص59 .

[2] محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ،1991 م، ص297 .

[3] علي آيت أوشان ،السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ،ص60-61 .

1- السياق الظرفي، و الفعلي، و الوجودي، و المرجعي: وهو الذي يتولى الكشف عن انتماء المخاطبين وهواياتهم ، فضلا عن موقعهم الزماني والمكاني الذي يستخدم فيه الغرض، بالمعنى المحدد عند " بارهيل ومونتاك" فإنّ التّداولية هي السياق وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.

2- السياق المقامي أو التداولي: وننتقل هنا من شيء مادي خالص الى شيء وسيط ثقافيا، وبالتالي المقام يرتبط مباشرة بممارسات خطابية تتقاسمها الشخصيات المنتمية الى نفس الثقافة، ومن أمثلة السياق المقامي: الإحتفال بالأعياد الدينية...إلخ.

3- السياق التفاعلي: ويقصد بيه تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات الغرض منها خلق تفاعل بين طرفي العملية التواصلية (المرسل و المرسل إليه) الذي يولد سياقا تواصليا بينهما.

4- السياق الإقتضائي: وهي إقتضاءات يحدس بها المتخاطبون من انتظارات و مقاصد واعتقادات مشتركة بين المخاطبين.

وبعد أن أوضحنا العلاقة التي تربط بين هذه التقسيمات المختلفة للسياق يمكننا القول أنّ للسياق دورا مهما في تحديد المعنى وترجيحه على حساب معنى آخر.

فاللّغة حسب " أوستين " لم تبق وسيلة لنقل الأفكار من إنسان إلى آخر فقط، بل هي وسيلة لتّأثير في الواقع وتغيير مواقف وسلوك المخاطبين. وعليه جاءت نظرية " أفعال الكلام "كنظرية تداولية تسلط الضوء على كافة الملابسات السياقية المحيطة بالملفوظ من حيث إنتاجه أو تلقيه.

أ- فعل القول: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، فقولنا مثلا:. إنّها ستمطر.

يمكن أن نفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبارب "أنها ستمطر"، أم تحذير من " عواقب الخروج في الرحلة "، أم " أمر بحمل مظلة"، أم غير ذلك...، الا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد "قصد" المتكلم أو "غرضه" من الكلام .

ب- الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنّه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها (...)، فالفرق بين الفصل الأول (أ) و الفصل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

ج- الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire: وأخيرا يرى " أوستين " أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول(القوة)، قد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو " المتسبب في نشوء آثار في المشاعر و الفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع ،التضليل ....".

ويسميه " أوستين ": الفعل الناتج عن القول ، وسماه بعضهم " الفعل التأثيري " .

ويظهر اهتمام "أوستين" بالملفوظ من خلال ربطة بعناصر السياق بداية باهتمامه بالمتكلم، والمتلقي ومختلف الشروط السياقية في العملية التواصلية و دراسة اللغة أثناء عملية الإستعمال.

نفهم من كل ما سبق أن التداولية درست السياق بنوعيه اللّغوي و غير اللّغوي ؛ فأما الأول فيتمثل في مجموعة من العناصر اللّغوية التي تحيط بالملفوظ وجزء منه، وأما الآخر فتمثله مجموعة من المقتضيات غير الغوية التي تحدد بمقتضاه الملفوظ تعلم حدود بدايته و نهايته وهذه العوامل متصلة بالملقي و المتلقي .

III. السياق والعرب المحدثين

يقوم الدرس اللغوي العربي الحديث في تناوله لقضية السياق أساسا على أثر نظرية فريث اللغوية، كونه يرتبط بداية برواد تتلمذوا على يد فيرث وهم : "كمال بشر" ، "محمود السعران" ، حيث برزت معالمه اللسانية الحديثة في ثنايا أعمالهم، فكان لكل منهم توجهه العلمي الخاص به، والذي يحاول تطبيقه على التراث اللغوي العربي في محاولة لمواكبة الدراسات الغربية الحديثة، والاستفادة من مفاهيمها وآلياتها خدمةً للغة العربية خصوصا، وللدرس اللغوي العربي عموما.

وفيما يلي نحاول تفصيل مجمل تصورات بعض الباحثين العرب المحدثين حول السياق:

1- نظرية السياق عند كمال محمد بشر :

إذا وقفنا عند كمال بشر في كتابه : " دراسات في علم اللغة " نجده يتحدث عن نظرية السياق في اطار «نقد التراث العربي و دراسته حيث لاحظ أن علماء العربية وقعوا في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث »[1].

حيث عاب على علماء العربية القدماء فقدان التكامل في تحليلهم المادة اللغوية، بمعنى أن تحليل المادة اللغوية لم يكن ملما بمختلف فروع الدراسة اللغوية، أو أن كل تحليل لغوي كان ينظر من زاوية واحدة فقط، مفتقدا للتكامل مع العلوم الأخرى؛ يقول : «يبدو أن بعض علماء العربية لم يدركوا تمام الإدراك مدى العلاقة والارتباط بين فروع الدراسات اللغوية أو المسائل أو كما لو كانت منفصلة لا يضمها إطار عام مشترك يوحي بوحدتها وانتظامها جميعا تحت موضوع رئيسي واحد »[2].

فنلاحظ أن كمال بشر يصرّ على ضرورة مراعاة المادة اللغوية المطبق عليها من حيث (الزمن ، البيئة ، المحيط ، العرف ، ... إلخ) وهذا من أجل تقديم وصف شامل يلم بكل جوانب الظاهرة اللغوية. وهذه العناصر هي جل عناصر السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي (الاجتماعي).

كما عاب كمال بشر على القدماء أيضا تطبيقهم المنهج الوصفي في بعض المسائل؛ فيصفه بكونه «وصفا مسوقا بصورة عفوية ومطبقا بصورة جزئية لا تسمح بالقول بأن المنهج المتبع في دراسة النحو العربي منهج وصفي »[3]. دون أن ننسى إهمالهم العامل الزمني في فترة من الفترات.

ورغم كل ما سبق، كان ولا زال الدرس العربي القديم يفيد الدرس اللغوي الحديث. و يتجلى هذا _بالنسبة لموضوع بحثنا_بوجه خاص في إدراكهم السياق بنوعيه " المقالي و المقامي " عند دراستهم أسباب النزول «واعتمادهم على اللغة المنطوقة وهو ما يتفق مع الدرس اللغوي الحديث إذ في الكلام المنطوق دفئ الحقيقة و تمثيل الواقع و فيه كذلك كل الخواص اللغوية التي حرمت اللغة المكتوبة من بعضها أو أكثرها »[4].

---

[1] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007 م ، ص325 .

[2] كمال محمد بشر ، دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، الاصوات ، ص 23 .

[3] المرجع نفسه ، ص 55-57.

[4] المرجع السابق ، ص 07 .

أما حديثه عن المقام أو المجريات الحال context of situation أو ما يطلق عليه " المسرح اللغوي " Linguistic theatre وهو المعنى نفسه الذي حذا حذوه تمام حسان؛ فيقول : «والمقام في نظرنا ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي دو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجز بعض. فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين و سامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض. وهناك كذلك ما في المواقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام، والوقوف على خواصه، وهناك كذلك الكلام نفسه .

وهذا الكلام في حقيقة الامر ليس الا عنصرا واحد من عناصر المسرح اللغوي بأكمله و لا يتم فهمه الا في هذا الاطار العام بما فيه من شخوص و ديكور و عدد و آلات .. إلخ. وفي هذا المقام ينبغي ألا نهمل حركات الشخوص، و سلوكها، وما يتبع الكلام أو يصحبه من حركات الجسم، و إشاراته، و إيماءاته، وعزل الكلام عن هذا الموقف الحي يحيله إلى شيء مشوه أو شيء جامد جمود أمثلة المعلمين في فصول تعليم اللغات ».[1]

ويُلحَظُ في هذا المقام أن كمال بشر أسهب في كلامه عن سياق الحال، حين دعى الى خلق مسرح لغوي يناسب النص ، وان كان ذلك صعب تطبيقه على الكلام المنطوق؛ لكنه يؤمن بشغف الباحث المجد و ثقافته الواسعة وقدرته في الوقوف على معطيات الموقف الحي من زمان و مكان و ثقافة الكاتب، وعاداته و تقاليده ، ومناسبة كتابة النص، و الإطار العام و الخاص الذي قيل فيه هذا التأليف. وهذه العناصر تسهم بشكل كبير في الوصول إلى المعنى العام، وهو ما يجعل اللغة تؤثر و تتأثر بالعلوم الأخرى؛ كعلوم التاريخ و علوم الاجتماع، وغيرها من العلوم. وهكذا يرى كمال بشر أنه للوصول إلى المعنى الدلالي التام ينبغي الرجوع إلى المقام الكلي عند أي تحليل لغوي. وهنا يجدر بنا الإشارة الى أن المعنى عند بشر هو نفسه عند فريث؛ حيث أن الظروف و الملابسات التي تقوم عليها النظرية الفيرثية حول المعنى تقع تحت ثلاثة عناصر؛ هي[2]:

أ- الظواهر المتصلة بالمشتركين في الكلام و الاستماع.

ي- الأشياء و الموضوعات المناسبة و المتصلة بالكلام و الموقف.

ج- أثر الكلام الفعلي .

[1] المرجع السابق ، ص 65 .

[2] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، ص 329 .

وبهذا يتضح أن هذه الأركان الثلاثة تشمل على الظروف و الملابسات المحيطة بالكلام التي تقيد في فهم المعنى وتوجهه، والتي تجعل دور الكلمات والتراكيب ليس كافيا لأداء الدلالات، وبالتالي لابد من السياق من أجل عملية تواصلية لا يمسها سوء الفهم أو انقطاع التواصل بين طرفي العملية التواصلية.

2- نظرية السياق عند محمود السعران:

يبدو محمود السعران من خلال كتابه "علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي" كغيره من اللغويين العرب المحدثين؛ حيث صب جلّ اهتمامه بهذه النظرية (السياقية) في ترجمة وتلخيص مختلف المدارس و المناهج اللغوية الغربية، بطريقة تمكّن القارئ العربي من معرفة مبادئها و أسسها.

ومحمود السعران يولي نظرية السياق أهمية بالغة، نتيجة تأثره بالمدرسة الاجتماعية الانجليزية، حيث رأى أن مدرسة فيرث تنظر الى المعنى على أنه «صورة مركبة من مجموعة من الوظائف اللغوية، الصوتية و الفونولوجية و المورفولوجية و النحوية و المعجمية، بالإضافة الى السياق الاجتماعي للحدث اللغوي »[1].

ومنه كانت نظرة السعران في قضية السياق كغيره من اللغويين المحدثين معتمدا في أغلب أحيانه على نقل آراء أستاذه فيرث؛ فيقول : «وهكذا فالأستاذ يرى أن الوصول الى معنى أي نص لغوي يستلزم:

-أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية والفونولجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية.

- أن يبين سياق الحال (الماجريات) : شخصية المتكلم، شخصية السامع، جميع الظروف المحيطة بالكلام ... إلخ.

- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمني، إغراء ... إلخ.

- وأخيرا يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، "ضحك، تصديق، سخرية ... إلخ» [1].

[1] عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، ص 323 .

[1] محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ص 312 .

وفي موضع آخر نجد السعران يتناول فكرة " سياق الحال " أو المقام Context of situation فيسميه " الماجرى " وهو بذلك لا يقف عند حدود المعنى اللغوي الضيق، و إنما يتجاوزه إلى ربط الكلام بمجريات إنتاجه، و تلقيه؛ فيقول: «"سياق الحال " أو " الماجرى" هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية [2]».

من خلال هذه الاشارات يبدوا أن مفهوم " سياق الحال " عند محمود السعران يرتبط بكل المعطيات الخارجية و الملابسات التي ينتج في رحابها الكلام، و التي تتمثل فيما يلي :[3]

– شخصية المتكلم والمتلقي، وتكوينهما "الثقافي"، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع – إن وجدوا– وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي .

– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو.

– أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم... إلخ.

إذن نصل الى القول بأن تلاميذ فيرث لم يختلفوا في نظرتهم الى السياق و الى المعنى؛ بيد أن " تمام حسان " حمل على عاتقه توظيف النظرية السياقية الغربية و تفعيلها على العربية، معتمدا في ذلك إبراز الجانب التطبيقي بكثرة، و الجانب النظري في بعض الأحيان في كتابة " اللغة العربية معناها و مبناها " في حين غلب الجانب النظري على التطبيقي في كل من دراسة "كمال بشر" و "محمود السعران ". و يرجع ذلك الى طبيعة مصنفاتهم ، حيث ركز "بشر" على عنصر من عناصر السياق وهو "سياق الحال"، و ضرورة خلق مسرح لغوي عند أي تحليل لغوي. لكن تبقى جهود هؤلاء الباحثين والدارسين العرب بمثابة أرضية خصبة، أو القاعدة الأساس للدرس العربي الحديث، وانطلاقة تلقفها الباحثون و الدارسون العرب، مقتصرين على زيادة شرح وتوضيح دون اضافة عليها، سوى جهوده يسيره لقلة منهم .

3– النظرية السياقية عند أحمد مختار عمر :

[2] المرجع نفسه ، ص 311 .
[3] المرجع نفسه ، ص 311 .

لقد خص أحمد مختار عمر قسما كاملا في كتابه "علم الدلالة " عنوانه "نظرية السياق"، أدرج فيه أربعة أنواع للسياق وهي :

أ- السياق اللغوي (Linguistic context): ينظر الى الكلمات وهي تتساوى بعلاقتها مع بعضها البعض في سلسة كلامية ، مما يكسبها معنى خاما و محددا، لأن المعنى السياقي معنى محدد، وله سيمات خاصة، بينما المعنى المعجمي فهو معنى متعدد ومحتمل. وارتباط الكلمات بعضها مع بعض داخل الجملة يكسبها معنى خاص والمادة الاساسية في الجملة أو النص التي تساعد على كشف دلالة الوحدات اللغوية الوظيفية في نطاق التركيب فمثلا كلمة "good" بالإنجليزية ، ومثلها كلمة " حسن " بالعربية ، أو "زين " بالعامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا ل :

- أشخاص : رجل ، امرأة ، ولد .
- اشياء مؤقتة : وقت ، يوم ، حفلة ، رحلة ...
- مقادير : ملح ، دقيق ، هواء ، ماء ...

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة "رجل" كانت تعني الناحية الخلقية ، واذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء (وليس الناحية الأخلاقية) .[1]

ب- سياق الموقف :

لهذا النوع عدة مسميات: سياق الحال، السياق المقامي، مقتضى الحال، المقام. وهو كل ما يحيط بالعالم الخارجي، وكل ما يرتبط بالموقف من ملابسات خارجية في الوسط الذي يتم فيه الحدث الكلامي. و في أغلب الاحيان يجد المتكلم نفسه مضطرا للخروج عن الاستعمال الحقيقي للكلمات، فيلجأ الى الإشارة و التلميح، وهذا يتطلب من المتكلم المعرفة بالمعطيات الاجتماعية التي يجري فيها الكلام. أي أن سياق الموقف يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس "يرحمك الله" (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت "الله يرحمه" (البدء بالاسم) ؛ فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006، ص69-70.

والآخرة معا في حين الثانية تدل على طلب الرحمة في الآخرة فقط، وقد دل على هذا سياق الموقف الى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم و التأخير .[1]

جـ- السياق العاطفي:

يتولى هذا النوع من السياق دور تحديد صيغة استعمال الكلمات، بين دلالتها الموضوعية التي تمد بالعموم ودلالتها العاطفية التي تفيد الخصوص؛ أي أن السياق العاطفي يشتغل بالدلالة العاطفية التي تحملها الكلمات، وهي بدورها تختلف من شخص لآخر. و بالتالي فهذا الجانب من السياق يعبر عن شعور المتكلم وانفلاته ضمن حيز مكاني يحتضنها و معطيات نفسية تضبط المعنى الأرجح ، وفي ضوء ذلك يظهر لنا أن علم الدلالة يهتم بالمعنى الموضوعي للكلمة و المعنى العاطفي لها، و الاساس الذي يميز بين هاتين المعنيين هو السياق ، وهذا الاخير يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ، إذ تنتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية عند الحديث عن أمر ما؛ سواء أكان فرحا، أو حزنا، وتكون مشحونة بالكثير من المعاني الانفعالية أو العاطفية، من أجل التأكيد أو المبالغة عن حالته العاطفية، و يظهر ذلك في الفارق بين كلمتي "المودة" و " المحبة "، فالمودة محبة خالصة مقرونة بعمل يظهرها ويجليها، و الشخص الودود هو الذي يظهر محبته من خلال العمل. أما المحبة فتكون فقط في القلب داخليا غير ظاهرة. وهاتان الكلمتان رغم اشتراكهما في أصل المعنى؛ ولكن من جانب آخر فكلمة " المودة " ذات شحنة عاطفية لا نجدها في الكلمة الثانية وهي " المحبة ". ومن هنا يتبين لنا بوضوح أن السياق العاطفي هو الذي يأثر في دلالة و مضامين الكلمات .[2]

د- السياق الثقافي :

قد دلّ هذا السياق على مجموعة الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية ، و الكشف عن موضع الحدث ، والسياق الثقافي يتعلق بالمعلومات التاريخية و الاجتماعية وأنماط التفكير الشائعة بينهم ، أي أنه يرتبط بالمحيط الثقافي و الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة " جذر " لها معنى عند المزارع ، ومعنى ثاني عند اللغوي ، ومعنى مخالف تماما للمعنيين السابقين عند عالم الرياضيات ... إلخ .

[1] المرجع نفسه، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص70-71.

وهكذا تعددت نظرة اللغويين العرب المحدثين وغيرهم الى السياق بين المقام ، و المقال و سياق الحال و الظروف الخارجية التي تركب فيها الكلمة أو الجملة أو النظام اللغوي ككل .[1]

[1] المرجع نفسه ص71.

الفصل الثاني: السياق بين الجرجاني وتمام حسان.

I. السياق عند عبد القاهر الجرجاني

II. السياق عند تمام حسان

III. السياق بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان

تمهيد

من المعروف أن السياق قضية لاقت رواجا كبيرا في الساحة العلمية قديما وحديثا، وقد أولها العرب إهتماما كبيرا في بحوثهم و يختلف السياق في تسميته بين القديم والحديث و فيما يلي سنبين كيف تناوله عبد القاهر الجرجاني الذي يعتبر من العلماء القدامى، وكيف تناوله و درسه تمام حسان الذي يعتبر من العلماء المحدثين.

I. السياق عند عبد القاهر الجرجاني

1.I. مفهوم السياق عند الجرجاني

لم يعطي الجرجاني مفهوما مباشرا للسياق في مؤلفاته ذلك أنه لم يوظفه كمصطلح وإنما وظفه كممارسة من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز" و "اسرار البلاغة" وأثناء مناقشة عدة ظواهر لغوية.

يقول الجرجاني حول هذا «أن يكون امتناع تركه على ظاهرة لأمر يرجع على غرض المتكلم- أي الكلام ... ألا ترى أنك لو رأيت سل القرية في غير التنزيل لم تقطع فهذا محذوفا لجواز ـن يكون لكلام رجل مر بقرية قد خرجت وباء اهلها وقل لها ما صنعوا على حد قولهم، سل الأرض من شق أنهارك،وغرس أشجارك، وجنا ثمارك، فإنها إن لم تجبك فورا أجابتك اعتبارا وكذلك إن سمعت الرجل يقول: ليس كمثل زيد أحد، لم تقطع بزيادته الكاف وجوزت أن يريد ليس كالرجل المعروف بمماثلة زيد أحد»[1]

فالسياق عند الجرجاني هو مجموعة الظروف والأحوال التي تحيط بالكلام أو بالحدث الكلامي. فلابد من مراعاة المقام قبل الحديث ومن خلال هذا القول تتجسد مقولة البلاغين الشهيرة «لكل مقام مقال»، فحسب الجرجاني السياق ما هو إلا مراعاة لمقتضى الحال، أي السياق هو مراعاة مقتضى الحال وبتعبير آخر مراعاة الظروف المحيطة بالكلام.

ويتجلى مفهوم السياق عند الجرجاني في موضع آخر وبمفهوم مختلف عن ما ذكرناه سابقا ألا وهو السياق اللغوي حيث يقول فيه«أعلم أن ليس النظم على أن تضع كلامك الوضع الدي يقتضيه علم النحو، وتعمل

[1]عبد القاهر الجرجاني: اسرار البلاغة، تج محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، 2003، ص 309-310.

على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجته فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي وسمت لك فلا تخل بشيء منها».[1]

أي أن السياق هنا هو أن تضع الكلمات في موضع حسن التأليف والترتيب، فتضم بعضها إلى بعض بحسب السياق.

زمنه فمفهوم السياق عند الجرجاني يتلخص في نقطتين أساسيتين هما: أنه محيط بالحدث الكلامي وكذلك أنهك الترتيب وحسن التأليف داخل النظم أي السياق اللغوي.

2.I. أنواع السياق عند الجرجاني

يبدو أن كتابي الجرجاني "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" كتابين سياقيين بامتياز، حيث أنهما درسا جميع المواضيع الخاصة بالسياق ومن أبرزها "أنواعه"، فحسب هذين الكتابين فإن السياقينقسم إلى نوعين هما: السياق اللغوي والسياق الحالي: فالأول كائن في داخل النصوص والعبارات اللغوية، والثاني كائن في الظروف المحيطة بتلك العبارات وفيما يلي تفصيل لما ذكرناه:

أولا: السياق اللغوي

يعتبر السياق اللغوي أحد أهم المواضيع التي وجدت في مؤلفات الجرجاني، و يعتبر النظم روحا لهذا النوع، يقول في ذلك « ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تعبر إلى الصورة التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به».[2]

إذن فلا معنى للكلمة إلا إذا دخل التأليف فلا يكون هناك معنى إلا بضم الكلمات بعضها على بعض عن طريق ربطها بمختلف أدوات الربط.

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 81.
[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 35

ويقول أيضا: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي وسمت لك فلا تحل بشيء منها».[1]

فهو يوضح هنا أنك خلال قيامك بعملية تأليف الكلام وجب عليك أن تراعي السياق الذي يقتضيه علم النحو، أي ترتيب الكلمات في الجمل بحسب المعنى المرادأو إن تأليف الكلام يقوم وفق سياق يقتضيه علم النحو أي ترتيب الكلمات في الجمل حسب المعنى المراد.

وهذا قول آخر يبرز من خلال السياق اللغويلدى الجرجاني، الذي يقوم على الترتيب والتأليف والتركيب والرصف وقدم على ذلك عدة أمثلة نذكر منها: [2]

خلال تكتمك في الخبر بقوله:

زيد منطلق/ وزيد ينطلق، وينطلق زيد ومنطلق زيد، وزيد المنطلق والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق.

أما في الشرط والجزاء فيقول:[3]

إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج.

فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء من حيث ينبغي له.

وعليه فإنك تقوم بتوظيف كلامك بناء على صحته في علم النحو.

ويقول أيضا: «وهل يقع في وهم، وإن جهد أن تتفاضل الكلمات المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم».[4]

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 81

[2] المصدر نفسه، ص 81

[3] المصدر السابق، ص 81

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح وتحقيق، السيد محمد رشيد رضا مشيئ، المنار دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981، ص 36

يؤكد لنا الجرجاني أنه لا يمكن للكلمات أن تتفاضلا إلا بوضعها في سياق لغوي وذلك عن طريق حسن اختيار الترتيب والتأليف.

ثانيا: السياق الحالي:

يتمثل السياق عند عبد القاهر الجرجاني في مراعاة مقتضى الحال وقد تحدث عنه في العديد من المرات حيث قال في حديثه عن اللغة والشعر: «ولو وقفت اللغة عند حدود نقل الفكرة لما كان داع لن تعرض المزية في الكلام أو يفضل بعضه بعضا».[1]

أي أن الظروف المحيطة بالكلام التي تتحكم فيه، فلا معنى للكلمات دون النظر على السياق الذي ترد فيه الكلمات فهو يلعب دورا كبيرا في توجيهها فاللغة لا تقتصر على العقل فقد لا تعمل العديد من الأحاسيس والمشاعر وبالتالي فهي لا تنقل المعنى العقلي وحده بل كذلك تنقل موجة من المشاعر والإحساسات والعواطف الداخلية.

ويقول أيضا في سياق الحال: «أنك لو عهدت إلى بيت شعر أو فصل من نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق ، وأبطلت هذه ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيره ترتديه الذي بخصوصيته افاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص ابان المراد».[2]

أي أن كل كلام يقال سواء أكان شعرا أم نثرا لابد من أن يبنى وفقا للظروف المحيطة به، فهي من تتحكم في بناءه وبمعنى آخر أن السياق هو من يحدد الكلام الذي سيقال فلا يمكن أن نقول "أنا لله وإنا إليه راجعون" وأنت في فرح فالسياق الذي أنت متواجد فيه لا يسمح لك بفعل ذلك.

وقال الجرجاني:[3]

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»«قفا ذكرى من نبك حبيب»

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا ، ص 207

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح وتحقيق، السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1982، ص 02

[3] المصدر نفسه، ص02

أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان، واسقطت نسبته من صاحبه وقطعت الرحم بينه وبين منشئه، بل أحل أن يكون له إضافة إلى قائله.

أي أنه أخرج ذلك الكلام من السياق الذي ورد فيه، وأدرجه ضمن سياق آخر.

ونشير في موضوع آخر إلى سياق المقام قائلا: «وهذا باب واسع فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد قرع السماك وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظ، وغذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفراداها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المتجاورة معها في النظم، لما اختلف بها الحال ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا»[1]

يتحدث عن المتكلم وحسب وقبح استعماله وتوظيفه للكلمة، وفي نفس الوقت يتحدث عن المقام التي توضع فيه، وكيف يلعب دورا في الحكم عليها إذا كانت ذات استحسان أو ذات قبح. إذن فسياق المقام له أهمية كبيرة في الحكم على الكلمة فأن وضعت في سياق مناسب قيل انها أدت وظيفتها بشكل جيد وإن وضعت في سيلق غير مناسب قيل أنها لو تؤدي وظيفتها بشكل جيد.

3.I. عناصر السياق عند الجرجاني

لم يذكر الجرجاني عناصر السياق بصفة صريحة وواضحة، ولم يخصص لها أي فصل أو باب في كتبه، وإنما جعل الحديث عنها بصفة غير مباشرة في: (المتكلم، المتلقي، العلاقة بين المتكلم والمتلقي، معرفة أسباب النزول)، وقد قمنا بتتبع عناصر السياق عند الجرجاني والتي نجدها مختلفة:

أولا المتكلم:

تحدث الجرجاني عن المتكلم باعتباره عنصرا من عناصر السياق التي تساهمفي تبليغ المعاني ويظهر ذلك في قوله:

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة النجادي، القاهرة، ط1، 1991، ص 48

«فإنك متى شئت الرجلين قد استعملا كلمة بأعيانها ثمترعه هذا قد فرع أسماك، وترى ذلك قد لصق بالحضيض هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حالة لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحتسب أبدا أو لا تحتسب أبدا».[1]

فالجرجاني هنا يؤكد على الدور الذي يلعبه المتكلم أو يؤكد على مدى تأثير المتكلم على الكلام فإنه ومن الممكن استخدام لفظة واحدة على لسان شخصين، أحدهما يمنحها قيمة عظيمة ويوظفها توظيفا بليغا يزيدها جمالا والآخر لا يحسن توظيفها فتصبح ذات مكانة دلالية رديئة.

ويذكر الجرجاني من أمثلة تأثير المتكلم على موقع اللفظة من الكلام استخدام "البحتري" و"لفظ الأخدع" في بيت الحماسة:[2]

تلفت نحو التي حتى وجدتني

وجعت من الأصغاء لنا وأخدعي

وبيت البحتري:

وإني وإن بلغتني شرف الغنى

وأعتقت من رق المطامع أخدعي

ففي هذين البيتين توظيف تلك اللفظة صائب وجميل أنا في بيت تمام الذي يقول:

يا دهر قوم من أخدعتك، فقد

أصبحت هذا الأيام من خرقك

[1] أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان بن محمد الجرجاني: "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة *-*-*، القاهرة، ط1، 1991، ص48.
[2] المصدر السابق، ص47.

فهذا المثال يوضح ما ذكرنا عن الدور الذي يلعبه المتكلم في إعطاء المعنى لما يكتبه أو ينطقه، فالفصاحة تتحقق عن طريقه، فإن قام بحسن اختيار كلماته وأحسن سبكها ورصفها في سياقها حقق بذلك المعنى الصحيح وأصاب البلاغة، وإن لم يحسن اختيار كلماته ولم يحسن رصفها في سياقها، لم يحقق المراد منه.

وفي حديث الجرجاني عن الكتابة تطرق إلى المتكلم فعرف الكاتبة على أنها: « أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء معنى هو تاليه وردفه».[1]

بمعنى أنه وجب على المتكلم أن يقوم بطرحه لموضوعه وأفكاره بطريقة متسلسلة واضحة تجعل المتلقي يفهم ما يقصده نحو: «هو طويل النجاد»، يريدون طويل القامة: «وكثير رماد القدر»، يعنون كثير القرى، وفي المرأة: «نؤوم الضحى» والمراد أنها مترفة معدومة، لها ما يكفيها من أمرها.[2]

فإن المعنى المراد الوصول إليه لم يذكره في الأمثلة السابقة بطريقة ظاهرة وإنما ذكر مكانه ألفاظ تدل عليه، وتبرز هنا أهمية السياق في تحديد المعنى، فالمعنى:

«إن طالت القمة طال النجاد وغن كثرت القرى كثر الرماد وإن كان المرأة مترفة جاز لها أن تنام حتى الضحى».[3]

فالمتكلم إذن حيث قيامه بالتعبير عن موضوع ما وإن لم بفكر بالكلمة المراد تبليغها يترك ما يدل عليها.

وفي فصل «التقديم والتأخير» يتحدث الجرجاني عن المتكلم فيقول: «واعلم أن من الخطأ أن يقتسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في غير الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يقلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسيعه عن الشاعر و الكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة التكلم ويدل تارة ولا يدل أخرى».[4]

[1] المصدر السابق، ص66.
[2] نفس المصدر، ص 60
[3] المصدر السابق، ص 66
[4] نفس المصدر، ص 110

أي أن المتكلم يقوم بالتقديم والتأخير على حسب المنفعة وتحقيق الفهم، فلا يمكن أن يقدم ما لا يخدم قوله ويؤخر ما يخدمه، ما هو أقل شأنا لابد من تأخريه، وماهو وجب التنبيه إليه يقدم.

فالسياق إذن يقتضي الخروج عن الأصل لقضاء غرض معين ومن أمثلة ذلك ما قدمه الجرجاني عن الاستفهام.

وقد ذكر أعراضه والتي تتمثل في: التقرير، الشك، الإنكار والتوبيخ، التمثيل والتشبيه، الإحالة والمنع.

وهذا يعني أن ترتيب المعاني في الكلام إنما يعود لترتيبها في نفس المتكلم ومثال ما يوضحه ما ذكرناه سابقا:[1]

إذا قلت: « أبنيت الدار التي كنت على أن تبنبها؟» فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضه من استفهامك أني أعلم وجوده وإن قلت: « أأنت بنيت الدار التي كنت على تبنيها؟».

فتبدأ بالاسم في ذلك كله لأنك لم تشك في الفعل أنه كان.

الغرض من تقديم الاستفهام هو السؤال عن الفاعل وليس الفعل والمراد أن يقر أن الفعل منه لا من غيره وهذا في غرض التقرير.

أما في غرض الشك:[2]

فقال: « أأنت قلت شعرا هذا؟».

فالبداية بالفعل ليست كالبداية بالاسم.

وكذلك قوله تعلى: « أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ».الأنبياء -62-

وفي الإنكار والتوبيخ:[3]

[1] نفس المصدر ص 111-112

[2] المصدر السابق، ص112.

[3] المصدر نفسه ص 114

قال تعالى: « أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا»الإسراء – 40–تقديم الفعل في الاستفهام انكار له، وفيه تكذيب للمشككين فيما قالوه، ورجم لهم على ما اقترفوه.

أنا في التمثيل والتشبيه:[1]

قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أظننت أجنحة الذباب يضير؟

يتضح من سياق البيت أن الشاعر يشبه شيء بشيء، وهو تمثيله ضرر الوعيد بضرر أجنحة الذباب، ويجعل الاستفهام في هذه الحالة نوعا من الاستهزاء.

وفي الإحالة والمنع: قال تعالى: « قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا » الأنعام –14–

تقديما لاستفهام دليل على استحالة أن يقع مثل هذا الفعل، أي امتناع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

ولم يكن الاستفهام وحده من يرتبط بمقاصد المتكلم فكذلك "النفي" وقد قام الجرجاني بتطبيق الأمر نفسه أي أنه فعل مع النفي ما فعله مع النحو.

وهو على نوعين:[2]

- نفي المنفي: (ما فعلت) نفي لفعل لم يثبت أنه مفعول.
- نفي المثبت: (ما أنا فعلت) وهو نفي لفعل ثبت انه مفعول وكذلك:
  - ما ضربت زيدا.
  - ما أنا ضربت زيدا

فعند تقديم الفعل على الاسم نحصل على معنى، وإن قدمنا بعملية عكسية نحصل على معنى آخر.

فالأولى: تنفي عنك ضربه، ويجوز أن يكون ضربه غيرك، أما الثانية: فتنفي أنت تكون أنت الضارب.

[1] المصدر نفسه ص 121.

[2] المصدر نفسه ص 124.

أما في فصل الحذف فقد تحدث الجرجاني عن المتكلم كذلك حيثقال: «من حذف الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاع يمنعه أن يتوهم في بدء الأمر شيئا غير المراد ثم ينصرف إلى المراد».[1]

من فطنة الشاعر والمتلقي أن يقول كلاما يسمعه المتلقي ولا يعرف أنه قام بعملية الحذف إلا إذا عاد وأمعن النظر فيهن فيمكنه أن يكون البلاغة في الحذف.

نحو:[2]

قال الشاعر:

اعتاد قلبك من ليلى عوائده

وهاج أهوائك المكنونة الطلل

ربع قواء أذاع المعصرات به

وكل لمار ماؤه حضل

فلا أراد «ذلك ربع قواء أهو ربع»

فهنا قام الشاعر بحذف المبتدأ، ذلك من أجل غرض اقتضاه السياق فالحذف هو أبلغ من الذكر، ولو ذكر المبتدأ هو "ذاك" لما صلح ذلك.

وفي الأخير نخلص إلى أن المتكلم عنصر مهم من عناصر السياق حيث أنه لا يلعب دورا كبيرا في وضع العبارات والتعليقات التي تخدم المعاني والدلالات.

ثانيا المتلقي :

يعتبر المتلقي هو الآخر عنصرا من عناصر السياق لدى الجرجاني وقد تحدث عنه في عدة مواضيع في كتبه فقال:

[1] المصدر السابق، ص 127.

[2] نفس المصدر ص 146

«أنت لاتستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لادراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ,ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه احساسا ».[1]

فالجرجاني هنا يوضح أن السامع يحرص دائما على تلقي الكلام وذلك يمكنه من فهمه واستعابه

فقيامه بالحرص على استقبال الكلام يجعله حريصا على السياق الذي الذي يرد فيه مايجعله يتكمن من استوعاب الكلام بدقة أكثر ومنحه مساره ومجراه الصحيح

وأشار كذلك الى مسألة الذوق والاحساس فالمتلقي لابد من يتوفر فيه هذين الشرطين من أجل أن يحسن توجيه الكلام الى سياقه الصحيح.

وقال كذلك :

¨واعلم أنه لا يصادق القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ».[2]

وفي هذا القول يوضح لنا الجرجاني أنه لا بد للمتلقي أن يكون صاحب ذوق ومعرفة ذلك مايمكنه من فهم النص أو الكلام الذي يتلقاه فيحسن توجيهه . فالمتلقي هو الذي يقوم بربط الكلام الذي يتلقاه ويربطه بالسياق

لولا وجود المتلقي أثناء العملية التواصلية لما كانت هناك أصلا مايسمى بالعملية التواصلية فهو من يقوم باستقبال الكلام وتوجيه إلى سياقه .

وفي موضع أخر يقوم الجرجاني بالتكلم عن المتلقي باعتباره عنصرا مهما في عناصر السياق حيث يقول :{ألاترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر ويرتفع به عن طبقاته العامة فلاتراه إلا في الأدب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة }[3]

[1] المصدر السابق، ص 384.

[2] عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الاعجاز,ص 195

[3] عبد القاهر الجرجاني :دلائل الاعجاز ص

إن المتلقي ذو ذوق ورجاحة فكر وعقل فهو من يستقب الكلام ويقوم بفهمه وايراده الى سياق معين وخاصة في الأدب والشعر والحكم المأثورة فإن لم يكن ذا حكمة فلن يتمكن من فهمه وتوجيهه التوجيه الصحيح .

ونخلص الى القول أن المتلقي يلعب دورا كبيرا في التحكم في السياق من خلال فهمه وهو بالنسبةللجرجاني من عناصر السياق المهمة ولا يمكن التخلي عنه .

ثالثا العلاقة بين المتكلم والمتلقي :

تعتبر العلاقة بين المتكلم والمتلقي من أحد أهم عناصر السياق وقد تطرق الجرجاني في العديد من المواضع إلى الحديث عنها من خلال مؤلفاته حيث يقول:

« ولم أزا مند خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمزوالإماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الشيء ليطلبه، وموضع الدفين ليجيب عنه فيخرج»[1]

يبين لنا أن النص ما هو عبارة عن جسر بين المتكلم والمتلقي، فالعلاقة بينهما تتمثل في "النص" أي في الكلام فالمتكلم يصدر الخطاب والمتلقي يستقبله، أي الأول يطرح الكلام والثاني يحاول تفكيكه وفهمه. وبناء على ذلك فالمعنى العملية التواصلية كلاهما يعود على المتلقي والمتكلم العلاقة بينهما.

وكذلك في قوله:

«والبلاء، والداء العياء أن هذا الإحساس قليل من الناس، حتى وإنه ليكون أن بقع للرجل التي من هذه الفروق والوجوه في شعر بقوله أو رسالة يكتبها، الموقع الحسن ثم لا يعلم أنه ...».[1]

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 34.

ويكمل قوله:

«قد أحس، فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدمه، فلست تملك إذا من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع، إذا فتحته قرئ، وقلب أذا رايته رأى، فأمل ما حبك من لا يرى ما تريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت رام من غير مرمى ومعين نفسك من غير جدوى، وكما لا تقدم الشعر في نفس من لا ذوق له كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآلة التي يفهم».[2]

في هذا القول يؤكد الجرجاني على وجود متكلم أو متلقي أو مبدع وناقد خلال العملية التواصلية ويشرح لنا عن مدى أهمية أن يكون الشخص المتلقي ذا إحساس وذوق لكي يصل غليه ما يحاول المتكلم إيصاله، يعني يمكن اعتبارها شروطا في المتلقي.

فعدم توفر الأحاسيس في نفس المتلقي يجعل عليه صعبا أن يفهم ما يقصده المتكلم.

ويضرب بذلك مثالا يشرح فيه ما قال:[3]

بي منك ما للناس كلهم نفر وتسليم على الطرف.

وقوله البحتري:[4]

ومن اسقل لك الدموع صبابة

ولو أن بـ جلة لي عليك دموع

وقوله:

رأت فلتأت الشيبه فابتسمت لها

[1] المصدر نفسه، ص 549.
[2] المصدر نفسه، ص 549.
[3] المصدر السابق، ص 547.
[4] نفس المصدر، ص 547

وقالت نجوم لو طلعت بأسعد

ما في قول البحتري « لي عليك دموع» منشينة السحر، وأن ذلك من أحد تقديم "لي" على عليك، ثم تنكير «الدموع» وعرف كذلك شرح قوله : «وقالت نجوم لو طلعت بأسعد».

رابعا معرفة أسباب النزول :

وهذا عنصر آخر من عناصر السياق الذي تطرق إليه الجرجاني خلال حديثه عن الإعجاز في القرآن الكريم فقال:

«وإن كان الشيء متعلقا بغيره، ومقيسا على ما سواه كان خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام وتعزيزه في النفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به ويكون زمام عليه يمسكه على المتفهم له والطلب علمه».[1]

وجاء في هذا القول في حديثه عن عجز القرآن الكريم والمقصود منه أنه إذا استشعر الفهم ونضع الآيات في السياق الذي وردت فيه، فتحدث عملية الفهم وتتضح المعاني والدلالات، فمعرفة سبب نزول الآية يمكننا من فهم دلالتها وذلك من عجزه. وكذلك قوله:

«مزايا ظهرت لهم في نفسه، وخصائص ما وضفوها في سياق لفظه وبدائع والمتهم من مبادئ مقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقفها، وفي كل مثل وساق كل خير، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتنكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصف وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية أية فلم يجدو في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة بنكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو هناك شبه أو أخرى وأخلق، بل وجدو اتساق بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما واتفاقا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولوحك بيا فوحه السماء، موضع طمع».[2]

[1] نفس المصدر، ص575.

[2] المصدر السابق، ص 39.

إن القرآن الكريم يقدم لنا نعاني وخصائص لا يقدمها أي نص آخر وهذا من السمات المميزة له ومن إعجازه، قال تعالى: « وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ». **البقرة–41–**

فمعرفة سبب نزول هذه الآية تعرفنا معناها: « يشير إلى مفهوم من السياق هو ـانيبهم ولومهم على المبادرة للتكذيب مع معرفتهم بالحق وانكارهم ومثل هذه الخصوصيات كثيرة جدا في القرآن وهي من اعجازه».[1]

معرفة السياق الذي وردت فيه الآية، أومعرفة المناسبة التي نزلت فيها يساعدنا على فهم دلالتها، وفي هذا إعجاز من الله سبحانه وتعالى. وفي موضع آخر قال الجرجاني: «هو باب من العلم إذا فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة، ومعاني شريفة، ورأيت له أثرا في الدين عظيما وفائدة جسيمة ووجدته سببا على حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل إصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل»[2].

معرفة ما تقصده الآيات القرآنية يجعل الإنسان بفهم الكثير من الأمور، كفسادها من صلاحها ويحدث ذلك عن طريق تأويلها ومعرفة سبب نزولها.

« أن يبحث عن ذلك كله، ويستقصي النظر في جميعه، ويتبعه شيئا فشيئان ويستقصيه بابا فبابا، حتى يعرف كلا منه بشاهده ودليله، ويحمله بتفسيره وتأويليه، ويوثق بتقريره وتمثيله».[3]

أي لابد من البحث عن المعاني والدلالة الموجودة في النص القرآني من أجل فهمه بصورة جيدة وعدم الخروج عنما يقصده ويحدث ذلك عن طريق تفسيره وتأويله برده إلى سياقه الذي نزلت فيه فتتضح لنا كل معانيه ودلالاته.

إذن فإن معرفة سبب النزول يفتح لنا أبواب كثيرة تساعدنا على معرفة مضمون النص القرآني.

I.4. تأثير السياق عند الجرجاني

[1] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، دار اليقين، مصر، ط2، 2013، ص90.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 41.
[3] المصدر السابق، ص 40.

يلعب السياق دورا كبيرا في تحديد وتوجيه المعنى وكذا الكشف عن الدلالات وإبراز المنفعة وقد تحدث الجرجاني عن ذلك في العديد من المواضيع حيث قال: «الكلام على ضربين، ضرب أنت منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تعبر عن "زيد" مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: " عمر ومنطلق"، وعلى هذا القياس: وضرب آخر وأنت لا فصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن بدل ذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه/ موضوعه في اللغة، نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على "الكناية" و "الاستعارة" و "التمثيل"»[1]. ويقصد بذلك أن الكلام على نوعين فأما النوع الأول فنفهم معناه مباشرة فهو واضح وجلي كأن نقول: " زيد خرج"، فخلال قراءتك للعبارة تفهم مباشرة أن زيد قام بفعل الخروج.

أما النوع الثاني: فلا نفهم معناه إلا من خلال "السياق"، وذلك ينطبق على الصور البيانية (الاستعارة، التمثيل، الكناية). فهنا لا يمكن الاعتماد على ظاهر العبارة للقيام باستخلاص وفهم المعنى، وإنما المعنى يفهم ويستخلص بالاعتماد على السياق. ومن أمثلة هذه الأساليب عند الجرجاني ما يلي:

1- الاستعارة:

قولك: حدثني التاريخ عن أمجاد أمتي فشعرت بالفخر والاعتزاز، في هذه العبارة يمكن القول : "أن التاريخ لا يتكلم" وإنما الإنسان هو الذي يقوم بالكلام.

فظاهر العبارة لا يساعدنا على الفهم، ولكن السياق هو الذي يساعدنا على فهم المعنى وتوضيحه.

2- التمثيل:

قولك: فلان كريم السحاب.

فهنا كذلك: لا يمكن فهم وتوضيح المعنى إلا بالرجوع إلى السياق فمنه نفهم أن فلان "كريم"، ذلك أن السحاب هو سبب نزول المطر فالسحاب كريم، إذن نفهم من خلال السياق أن فلان كريم.

3- الكناية:

قال تعالى: « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا »

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 262

سورة الإسراء-29-

لا يمكن فهم المعنى مباشرة إلا من خلال السياق، فهنا يقصد باليد المغلولة: البخل ويقصد باليد المبسوطة: الإسراف، فالسياق هو الذي يوضح لنا معناها ويبينه.

وفي موضع آخر يوضح الجرجاني ذلك ويقول:«ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما بفرد فيه اللفظ بالنعي والصفة، وينسيه في الفضل والمزية إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة».[1]

إن المعنى هو الذي يعطي قيمة ودلالة للعبارات، وهو يتحدد بحسب السياق ويختلف باختلاف السياق وكذلك العبارات تأخد قيمتها من المعنى الذي ينسب على ذلك السياق.

وبتعبير آخر يمكن القول أن: الدلالة والمعنى يتحكم فيهما السياق ويوجههما ويكشف عنهما إذ لم تكن ذات قيمة ولم تنل رضا النفوس وتستهويها فإنه لا مكانة لأي لفظة أو عبارة.

أي السياق هو الذي يمنح قيمة للعبارات والمصطلحات، أما في كتب "أسرار البلاغة"فيقول:

«فإذا قلت: (رأيت أسدا) صلح هذا الكلام لأن تريد به أنك رأيت واحدا من جنس السبع المعلوم، وجاز أن تريد أنك رأيت شجاعا باسلا شديد الجرأة، وإنما يفضل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال، وما يتصل به من الكلام من قبل وبعد».[2]

فالسياق هنا هو الذييتم عن طريقه الحكم على الكلام أن كانت فيه حذف أو تعديل، فهو من يقوم بالكشف عن المعنى ففي العبارة أو المثال الذي يقدمه يمكن تفسيره على طرفين فالأول أنك رأيت الأسد وهو حيوان

والثاني أنك رأيت رجلا شجاعا كالأسد.أو نقصد أن طريقة الكلام وظروف الكلام هي التي توضح لنا ما ان كنا نتحدث عن الاسد أو عن رجل شجاع .

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 43

[2] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1998، ص189

وهذا لا يتحدد إلا عن طريق السياق، فربط العبارة بما قبلها أو بعدها يوضح لنا المعنى المقصود.

نخلص إلى أن السياق يقوم بالكشف عن معاني العبارات والجمل ويلعب دورا كبيرا واضحا في توجيه ذلك المعنى.

II. السياق عند تمام حسان

يبحث تمام حسان في الجوانب السياقية من خلال مؤلفاته: «نماذج البحث في اللغة العربية»، واللغة العربية (معناها ومبناها)، ويعد هذا الأخير نموذج تطبيقي لنظرية فيرث السياقية على اللغة العربية، جاعلا حديثه في عدة مواضيع من الكتاب عن أهمية السياق في إبراز المعنى الدلالي ونهجه طرق تحليلية حول الدراسات اللغوية المختلفة، ليتوقف في دراسته المعنى عند الحد الذي وقف عنده أستاذه "فيرث" وهو السياق أو المقام.

II.1. مفهوم السياق عند تمام حسان

يعد السياق من أهم امصطلحات اللغوية في اللسانيات العربية، إذ استحوذ على انتباه الباحثين اللغويين العرب سواء كانو قدماء أو محدثين، ومن المحدثين الذين تطرقوا إلى مفهوم السياق نجد تمام حسان يتحدث عنه في إطار شرحه قرينة السياق، ويظهر مفهوم السياق؛ في قوله: «المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم يمكن النظر إليه من زاويتين: أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق « سياق النص ». والثانية توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام وعندئذ نسمي السياق «سياق الموقف».[1] يلحظ من خلال القول المقدم أن السياق يفيد معنى التتابع والتوالي، وأن ذلك إما ان يكون واقعا بين العناصر اللغوية التي تكون السلسلة الكلامية؛ أي أن يوجد تتابع لوحدات لغوية معينه في صورة من صور الاستعمال اللغوي عند المتكلم فيؤدي ذلك إلى إنتاج سياق كلامي معين، إما أن يكون التتابع تتابعا للأحداث والوقائع التي يتألف منها المحيط الطبيعي للكلام والمسمى عند « جون فيرث » بالموقف، فيسمى تبعا لذلك «بسياق الموقف»، وعليه نخلص إلى القول أن السياق على نوعين؛ يتمثل أولها في السياق اللغوي وهو يرتبط بالعلاقة القائمة بين العناصر اللغوية في الحدث الكلامي، وثانيها غير اللغوي يعبر به عن العلاقة التي تربط بين الأحداث الموقفية ضمن البيئة العامة للكلام.

[1] تمام حسن: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2007، ص 237.

«وهناك علاقة طابعها العموم والخصوص بين مصطلحين هما: «دلالة السياق» و«قرينة السياق». فالمستفاد من النص في جميع حالات الإفادة هو دلالة السياق سواء كانت هذه الدلالة (كما يقول الأصوليون في كلامهم عند دلالات المفردات) بواسطة العبارة أم كانت بواسطة الإشارة أو الإيماء أو الإقتضاء. والدلالة فيما عدا العبارة دلالة على معنى مضاف يلزم عن العبارة أي عن الكلام نفسه. وفي هذه الحالة يدل السياق بالإشارة أو الإيماء أو الإقتضاء على معنى لم يرد عنه في النص تعبير صريح ، وعندئذ يكون السياق قرينة على هذا المعنى، وهكذا يكون المقصود بقرينة السياق أخص من المقصود بدلالة السياق»[1]. إذن النص عبارة عن شيء مكتوب أنا هذه الإشارات والإيماءات ليست مكتوبة لكن تفهم وتؤدي تقريبا نفس معنى السياق، وبالتالي فتمام حسان يشير هنا إلى مسألة مهمة وهي التفريق بين دلالة السياق وقرينة السياق؛ فالأولى هي دلالة المنطوق بحسب التبليغ، أما الثانية هي إشارات نابت عن الكلام.

II.2. أنواع السياق عند تمام حسان

يقسم تمام حسان السياق إلى قسمين: سياق داخلي (سياق النّص)، وسياق خارجي (سياق الموقف) من خلال تعرضه إلى قضية المعنى الدلالي الذي يتكون من معنيين؛ المعنى المقالي والمعنى المقامي، ويمكن توضيح هذه العلاقة من خلال المخطط الآتي:[2]

[1] المرجع نفسه، ص 237.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص339.

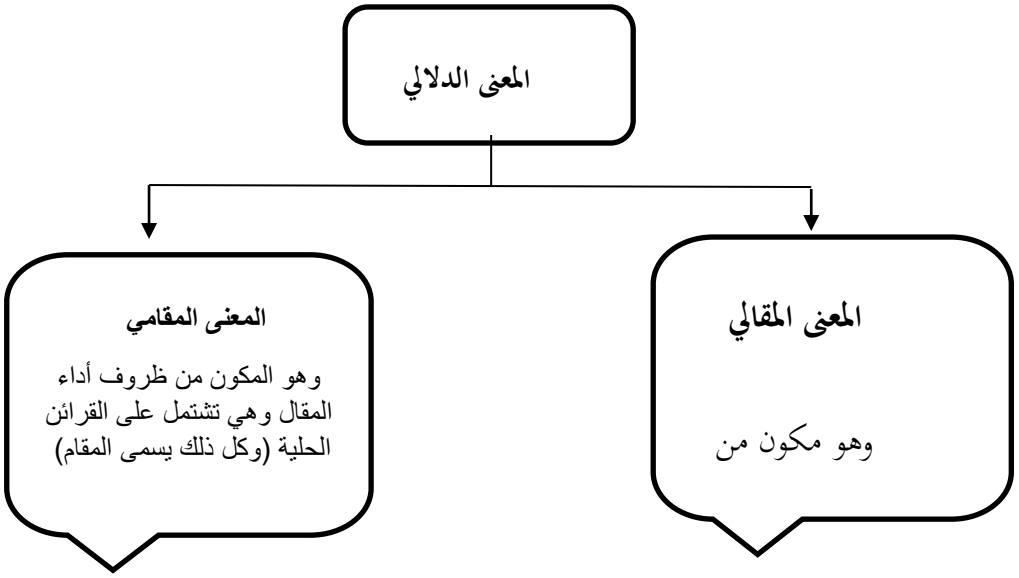

ونفهم من هذا المخطط أن المعنى الدلالي عند "تمام" لا يقتصر فقط على المعنى المقالي أو السياق اللغوي وما يدرسه من جوانب (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية)، بل أدرج أيضا القرائن الحالية؛ كل الظروف المحيطة بالنّص: من زمان ومكان، حادثة، مناسبة... إلخ، وهي عناصر السياق التي تساهم بشكل أو بأخر في إظهار المعنى المراد.

ويبين أكثر تمام حسان سياق النّص والمقام ؛ بقوله: «سياق النّص إمّا أن يكون قرينة (نحوية أو معجمية) أو دلالية (قوامها العلاقات النّصية)، وأمّا سياق الموقف فإمّا أن يكون ذا دلالة واقعية أو ذهنية، فالواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العلمية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام، أما الذهنية فإنها تنشأ عن تداعي المعنى بحيث تثير بعضها بعضًا في تسلسل منطقي (طبيعي لا صوري)».[1] بمعنى أنّ تمام حسان يدرس السياق بنوعيه (سياق النّص وسياق الموقف) وفيما يلي بيان ذلك:

أ- **سياق النّص**: قد يكون قرينة تركيبية بمعنى لغوية موجودة، أو دلالية (نحوية، معجمية) نجدها في النّص هو الذي يعطي سياق خاص بالكلام والاحالات الموجودة، ويقصد "تمام" بالعلاقات النّصية؛ علاقة الأفكار فيما بينها، وقد يكون السياق النّصي ليس له علاقة بالتركيب، بل له علاقة بالدلالة (المعنى). فمثلا لفظة أمة رغم

[1] تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2007، ص237.

أنه معروف لنا أنها تعني جماعة من الناس، لكنه يأخذ معاني مختلفة أذكر منها على سبيل المثال:

قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ آية 22 من سورة الزخرف . فكلمة أمة هنا بمعنى الملة والدين.[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِے نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ اَنَآ أُنَبِّئُكُم بِتَاوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِّ ﴾ آية 45 سورة يوسف.

والأمة: أطلقت هنا على المدة الطويلة، وأصل إطلاق الأمة على المدة الطويلة هو أنها زمن ينقرض في مثله جيل، والجيل يسمى أمة، كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اْخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آية 110 من سورة آل عمران. على قول من حمله على الصحابة.[2]

وقوله تعالى : ﴿ ﴿اِنَّ إِبْرٰهِيمَ كَانَ أُمَّة قَانِتا لِّلهِ حَنِيفا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَّ ﴾ آية 120 من سورة النحل. وقد وصف إبراهيم – عليه السلام – بأنه كان أمة. والأمة: الطائفة العظيمة من الناس التي تجمعها جهة جامعة. وتقدم بقوله تعالى: ﴿ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّة وٰحِدَة ﴾ آية 211 من سورة البقرة.

ووصف إبراهيم –عليه السلام– بذلك وصف بديع جامع معنيين: أحدهما؛ أنه كان في الفصل والفتوة والكمال بمنزلة أمة، والثاني؛ أنه كان أمة وحده في الدين لأنه لم يكن في وقت بعثته، موحد لله غيره.[3]

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّة مُّسْلِمَة لَّكَّ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُّ ﴾ آية 127 من سورة البقرة. والمراد من كلمة أمة هنا الجماعة العظيمة التي يجمعها جامع من نسب أو دين أو زمان؛ ويقال: أمة محمد مثلا للمسلمين لأنهم اجتمعوا على الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[4]

ومنه فكلمة أمة يختلف معناها باختلاف السياق التي وردت فيه.

ويمثل تمام حسان سياق النّص ويوضح دوره في تحديد معنى المنطوقات من خلال تقدير المحذوف فيقول: «ربما خلال موقع الحرف في السياق فقيل إن الحرف محذوف في هذا الموقع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَلاَ عَلَى الّذينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لَتَحْملَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيه تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفيضُ منَ الدَّمْع حَزَناً أَلاَّ يَجدُوا مَا يُنْفقُونَ﴾. التوبة الآية 92، فالحرف المحذوف في أحد الموضعين أوكيليهما هو"الفاء" قبل "قلت"، وإمّا أن

[1] محمد الطاهر بين عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للكتاب، 1984، ج25، ص185.

[2] المرجع نفسه، جزء 12، ص 283.

[3] المرجع نفسه، ج 14، ص 315-316.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص721.

نقدرها قبل "تولوا"، أو أن نقدرها في الموضعين كليهما.»[1] ونلاحظ من هذا المقتبس أنّ سياق النّص هو الذي يجعلنا نتفطن أنّ هناك موضع حذف لهذا كان لابدّ من تقدير المحذوف من خلال السياق. وعليه كان للسياق مجموعة أدواته الشأن الكبير فهم المنطوق (النّص).

ويبدوا أن "تمام حسان" أولى عنايته بالظواهر السياقيّة الّتي ينتجها جانب سياق الاستخدام اللّغوي فهي قرائن تفهم من السيّاق التركيبي، أو السياق الدّلالي ، ومن الأمثلة التي توضّح اهتمامه بالموقعيات في دراسته للتراكيب ومايعتريها من حذف؛ قوله: « لا ينبغي لنا ان نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجوداً في الكلام ثم حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الّذي يُفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللّغوي وبين مطالب السياق الكلامي »[2].

ومنه فإنّ إسقاط حرف أو كلمة أو حركة، بشرط يبقى على نفس المعنى وأن يكون السياق اللّغوي هو الّذي يفرض ذلك فنظام اللّغة مثلا: يقرّر أنّ المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة ينتهي بنون تسمّى نون الرّفع، ويقرّر كذلك أنّ توكيد المضارع يجري بنون مشدّدة مركّبة من عنصرين أوّلهما نون ساكنة وثانيهما نون متحركة، ولو انّ المضارع المسند إلى ألف الاثنين او واو الجماعة أكّد بالنّون الثّقيلة لكان معنى ذلك أنّ النّظام اللّغوي قضى بتوالي ثلاث نونات: نون الرّفع ثم نون ساكنة X نون متحرّكة =نون مشدّدة، وهذا ممّا يصطدم بالذّوق العربي الّذي يكره توالي الأمثال، ومن هنا يتدخل هذا الذّوق الاستعمالي بحذف نون الرّفع وترك نونين إحداهما ساكنة والأخرى متحركة تبدوان معًا في صورة وحدة صوتية واحدة مشدّدة. ويعمد الاستعمال إلى اتّخاذ هذا الأجراء إجراء مطردًا يحدث كلّما جدث الموقع الذي يتطلّبه، ومن هنا يكون قاعدة فرعيّة أو نظامًا فرعيًّا بالنّسبة للنّظام اللّغوي العام»[3].ففي هذا المثال التقى ساكنان في كلمة واحدة، لهذا وجب علينا التّخلّص من الْتقائها بحذف الأوّل منهما أو تحريكه؛ ومن ذلك حذفت "نون الرّفع" وليست هناك قاعدة نحويّة تُلزم الحذف أو الزّيادة، ولكن السياق النّصي يقتضي الحذف بغرض التحفيف وتجنب الثّقل والكراهة في النّطق، وبالتّالي يخالف السياق مطالب النّظام ويقتضي نظامًا فرعيًّا بدل الأصل.

ويضيف "تمام حسان" نموذجًا آخر يذكر فيه ظاهرة سياقيّة هي ظاهرة النّبر التي تساهم بشكل كبير في فهم المنطوق، كما تلعب دورًا في الكشف عن المعاني ؛فيقول: « ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في

[1] تمام حسان، الفكل اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، د/ت، ص14.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص298.

[3] المرجع نفسه، ص298.

السّمع عن بقية ما حوله من أجزائها »[1]. ويلحظ في هذا المقام أنّ اللّغة العربية تستخدم النّبر بهدف مساعدة السّامع تحديد المعنى، فالنّبر في العربية لا يفرّق بين الاسم والفعل، إنّما يميّز بين معاني العبارات والكلمات فتمنحه معنى وظيفي في الكلام نفسه؛ أي في الجملة نحو:« (أذكر الله) و(أذكري الله)، فالمعروف أنّ هذا الموقع من المواقع التي تفقد فيها الياء كمّيته فتصبح بمقدار الكسرى في الكلام مثلها في ذلك مثل الياء في عبارة "القاضي الفاضل" التي ذكرناها من قبل ومن هنا تصبح أحوال الأصوات في الجملتين واحدة وتصبح فرصة اللبس سانحة هنا فلا يعرف السّامع ما إذا كان المتكلّم يخاطب رجلاً أو امرأة، هنا يتدخل النّبر فيفرّق بين الإسنادين فيكون النّبر في الجملة الأولى على مقطع همزة وصل ويكون في الجملة الثّانية على مقطع الكاف ليدل على طول الياء لأنّ النّبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطًا (رى) وما قبل الأخير قصيرًا (ك) حسب القاعدة (الثّانية ب[2])من قواعد النّبر الأوّل. فيكون النّبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدّليل على المحذوف في نحو "تسعَوْن " حيث تدلّ الفتحة على ألف " سعى" المحذوفة.[2] ومنه حين وقع النّبر في مقطع همزة الوصل كان المتكلم يقصد الرّجل،أ مّا عندما نضغط على مقطع الكاف فُهِمَ من الجملة أنّ المراد به مخاطبة المرأة دون الرّجل ومن خلال هذا العرض يظهر لنا أنّ النّبر ظاهرة موقعية في السياق يعمد فيها المتكلم الضّغط على بعض المقاطع الصّوتية حتّى يعبّر عن عواطفه انفعالاته وأغراضه من الحديث، وإيصال رسالته للمتلقي، وفهم النّص بصفة عامّة.

ب- **سياق الموقف**: كل كلام يقال يرتبط ب"موقف"، وهذا الموقف إمّا أن يكون واقعياً حقيقياً أو المتكلم هو الذي يتوقعه ذهنيا بالنسبة إليه فترجمه كنص؛ فأي كاتب حين يكتب إنّما يكتب عن قصد، وهذا إمّا أن يكون ناتج عن سياق خارجي واقعي؛ أي أنّ الأحداث التاريخية أو العملية ... إلخ، هي التي أدت به إلى الكتابة أو ذهنية، وبعد استجابته إلى تلك التصورات يجب أن يكون ذلك الكلام موافق للمقام والذي هو السياق نفسه هو الذي يعطينا العلاقات بين أفكار النّص هل هي تركيبية نحوية أم دلالية متعلقة بالنّص، والعنصر المركز عليه هنا هو قضية التبليغ والإبلاغ، وما تعلق بالاستعمال اللّغوي (الصرف، التاريخ...).

ويرتبط سياق الموقف عند تمام حسان بأنواع أخرى من المقامات والتي تتمثل في:

[1] مرجع نفسه، ص170.

[2] المرجع نفسه، ص 308.

1- المقام الاجتماعي: إنّ تحليل أي نسيج لغوي يفرض الإحاطة بالتركيب الاجتماعي التي تقع فيه الجمل أو العبارات حتى نصل إلى المعنى، فاللّغة كظاهرة اجتماعية لابد أن تكون خاضعة للسياق الاجتماعي؛ يقول تمام حسان: «فاللغة نتاج اجتماعي بلا شك، ويتطلب الكلام في حالاته النموذجية تبادل النطق والسماع، أي أنّ فيه خصائص اجتماعية كما في اللغة، وهذا الجانب الاجتماعي في اللغة لابد من مراعاة الكشف عنه في إبانة المعنى»[1] بمعنى أنّ اللّغة تستخدم في التواصل الاجتماعي، لأنّ اختلاف اللّغات واحد من الأسباب التي تؤدي إلى اختلاف المجتمعات، فاللّغة ذات حمولة اجتماعية لا يفهمها إلا أصحاب اللّغة ،باعتبار تفسير الكلمات يخضع للمجتمع وليس للكلمات فقط، وبالتالي باختلاف اللغات هو وجه من أوجه اختلاف المجتمعات الذي يعبّر عن المقام؛ وبذلك على الذي يقرأ هذا السياق التركيبي لابد أن يكون داخل هذا النمط اللغوي الاجتماعي حتى يتمكن من إبانة المعنى.

ثم يوضح أكثر "تمام حسان" كيف للغة أن تأخذ دلالتها وفق ما يقتضيه المقام ؛بقول: «العنصر الاجتماعي ضروري جدا لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرسه عندما يراها، "أهلا بالجميلة" يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض، وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها. أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضا، فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو التوبيخ، أو التعبير بالدمامة، فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي "أهلا" و"الجميل". وعلى المعنى الوظيفي لهما وللباء الرابطة إلاّ بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النّص».[2]

فاللغة حسبه تحدث بالضرورة تغييرا على المستوى الدلالي؛ لأنّ هذا التعبير خاضع إلى تغيير في المقام الاجتماعي الذي قيل فيه هذا القالب الكلامي.

2- المقام السياسي: ويشمل المقام السياسي الخطابات الرسمية في الأغلب ويقوم على المدح والثناء على سياسة معينة أو شخص معين، ويكون الغموض غاية في ذاته، ومن الأمثلة عليه حكاية بشار بن برد والخياط ؛ حيث يقول: "وإذا كان المقام ضروريا للفهم فإنه يكون أحياناً ضروريًّا لعدم تحديد فهم بعينه؛ كالذي تلمحه في مقام التعمية والإبهام والإلغاز؛ إذ يكون البس الذي تسببه التعمية، أو يأتي بالإبهام والإلغاز مقصودا لذاته فلولا فهم

[1] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1421هـ، 2001، ص121.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص342.

المقام هنا والمعرفة بأنه مقام تعمية ما قبل الناس المقال، ولا أقبلوا عليه ولا اعترفوا بأنه نص يستحق عناء النظر الجاد، ويتضح ذلك مثلا في قول الشاعرفي خياط أعور خاطه له قباء:

خاط لي عمرو قباء ليت عينه سواء
فسأل النّاس جميعا أمدح أم هجاء

فلا سبيل إلى معرفة التمني بلفظ "ليت"، أكان للخياط أم عليه إلا بمعرفة ما إذا كان الشاعر قد رضي عن قبائه أو سخط عليه، ولكن إخفاء هذا الجانب من الرضى اوالسخط في بطن الشاعر حال بين الرضى أو السخط وبين أن يكون مقاما لفهم النّص، وأحل محله مقام التعمية فأصبحت التعمية جزءا من المعنى، وأصبح اللبس فيها مقصودا لايراد دفعه."[1] بمعنى أن المقاصد تتغير فهي دائما تابعة للسياق الخارجي والظروف المحيطة بالنّص، فلو كان هذا القالب اللغوي قد قيل في موضع أخر لما كان النّاس قد قبلوا به لغموضه، و ورود معاني مختلفة، فالخطاب السياسي شأنه شأن الخطابات الأخرى، يهدف إلى تكوين المعرفة بين المخاطَب والمخاطب، ومختلف الأطراف الخارجية المشاركة في العملية التواصلية التي تسعى إلى تحديد وفهم المعنى.

المقام التاريخي: هذا النوع من السياق يتطلب المعرفة بالظروف والحوادث الماضية المحيطة بالحدث الكلامي، فعند تحليل ظاهرة لغوية وقعت مند زمن طويل من الضروري معرفة السياق التاريخي لفهمها، فلا يمكننا أن نحكم على زمان غير زماننا. ويبيّن تمام حسان ذلك من خلال؛ حديثه عن أنواع المعنى: «إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي، والصرفي، والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا "معنى المقال" أو "المعنى الحرفي" كما يسميه النقاد، أو "معنى ظاهر النّص" كما يسميه الأصوليون وهو- مع الإعتذار الشديد للظاهرية- معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي منعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية التي تشبه ما يسمونه في المرافعات Circumstantial évidence وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى.» [2] مما لا شك فيه أنّ تمام حسان يرفض الوقوف عند ظاهر النّص ويصفه بأنّه معنى فارغا تماما، رغم أنّه

[1] المرجع نفسه، ص350.
[2] المرجع نفسه، ص258.

يمتدح رفض ابن مضاء القرطبي "للعلل"، إلاّ أنّه يرفض بدوره "التّعليل" في المنطوق، وعليه فتمام حسان أراد أن يلغي الظاهرية أكّد وجودها ما أوقعه في التناقض.

3- المقام الإستشهادي:« قد يستعار" المقال" المشهور "للمقام" الطارئ (وما يسمى بالاستشهاد أو الاقتباس)أثناء الحديث، والاصل في ذلك أنّنا نستطيع أن نوفق بين كلام ذائع الشهرة انقضى مقامه الأصلي الذي قيل فيه وبين مقام مشابه وجدنا أنفسنا فيه الأن فنورد للكلام القديم الشهير وبين المقام الطارئ، كان ذلك من حسن الاستشهاد. ولقد رزق أبو بكر رضي الله عنه القدرة على حسن الاستشهاد فمن ذلك استشهاده بعد وفاة النّبي صلّى الله عليه وسلم؛ بقول الله تعالى: ﴿ ۞وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الآية 144 من سورة آل عمران. ولقد قال عمر عند سماعه هذا الاستشهاد مامعناه: والله لكأني لم أسمع هذه الآية من قبل.» [1] فالملاحظ هنا أنّ المقام الذي أستعمل فيه المثال كان أوضح من المقال الذي نزلت فيه الآية فقد نجد أنفسنا أمام مقامات متشابهة فنقوم باستحضار المقام القديم المشهور وتلفيقه بسياق حالي. وهذا النوع من الإستشهاد يقابل نوعا من أنواع الإستعارة – التّمثيلية –عند البلاغيين.

4- مقام اللّغو:

وهو مقام خالي من التّكلّف والتّصنّع لا يحتاج إلى إنتاج جهد عقلي كبير لأنّه غالباً ما تكون ذات مواضيع مبتذلة ومتناولة لدى الجميع، لكنّه يبقى نوعاً من أنواع المقام الّذي قد يثير الجدل والتّفاعل بين طرفي الحديث (المتكلم، والمتلقي)، وهذا ما دفع بتمام حسان أن يقدّم لمحة عنه؛ فيقول:« هناك نوع من المقامات الاجتماعية يمكن أن نسمّيه مقامات اللّغو الاجتماعي، يتبادل النّاس فيها الكلام، ولكنّهم لا يقصدون به أكثر من شغل الوقت، وحل موقف اجتماعي لولا هذا اللّغو لكان فيه حرج. والكلام الّذي يقال في هذا المقام ليس مقصودا لذاته فقد يكون موضوعه الطقس أو السياسة أو أي موضوع آخر، والحقائق الّتي يشتمل عليها هذا الموضوع معروفة عند طرفي المحادثة فلا يفيد أحدهما من سماعها أي قدر من المعلومات الجديدة كلا الطرفين يلغو رفعاً للحرج الّذي يتوقعه نتيجة للصّمت»[2].ومنه فهذا المقام يستخدم في سياقات اجتماعية الغرض منه رفع الحرج بخلق آراء ونقاشات يشتغل بها الفرد نفسه ضمن مواقف تخلوا من التّواصل بين

[1] المرجع نفسه، ص339 -340.

[2] المرجع نفسه، ص 343.

الأشخاص، ويكون ذلك في أغلب أحيانه في قاعات انتظار إحدى العيادات الطبية أو رحلات السفر الطويلة...إلخ. ما يتحتم على أحد الشخصين خلق رسالة لغويّة تواصليّة بينهما كالإستفسار على أحوال الطّقس في ذلك اليوم، أو فيما يخص السياسة، الثّقافة، والتربية، والتعليم...إلخ، شرط تجنب إحراج الشخص الآخر بطرح اسئلة قد تسبب له الخجل أو تعتبر تدخّل في خصوصيته، ماسمّاه تمام حسّان (بالحرج الاجتماعي).

6-السياق الثّقافي:

لقد عبّر "تمام حسّان" عن موقفه تجاه السياق الثّقافي من خلال ما قدّمه عن المقال المكتوب؛ فيقول: «إذا كان "لمقال" المكتوب لا يقع في أثناء قراءته في وقت لاحق في مقامه الاجتماعي الّذي كان له في الأصل فإنّ هذا المقام الأصلي من الممكن، بل من الضروري أن يعاد بنائه في صورة وصف له مكتوب حتّى يمكن للنّص ان يفهم على وجهه الصحيح. في بناء هذا المقام الأصيل بناء جديداً بواسطة وصفه كما كان لابدّ من الرجوع إلى الثّقافة عموماً والتّاريخ بصفة خاصّة»:[1]

II.3. عناصر السياق عند تمام حسان

من خلال المادة اللغوية التي قدمها " تمام حسان " سابقا يتضح لنا أن عناصر السياق عنده متعددة ومتنوعة، ويظهر ذلك في؛ قوله:«المقصود بفكرة "المقام". فهو يضم المتكلم، والسامع أو السامعين، والظروف، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الوارد .Relevant في الماضي والحاضر ثم التراث والفلكلو، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات (....) وما يرتبط بكل ذلك من قرئن حالية أو مقامية كإشارة اليدين، وتعبيرات الملامح، وغمزات العينين، ورفع الحاجب، وهز الرأس، وجميع الحركات العضوية ، مما يعد من القرائن المقالية في أثناء الكلام، ثم التعبيرية بخوالف الأصوات، والتأفف....إلخ، مما يعد من القرائن المقالية أثناء الكلام».[2] والملاحظ من هذا النص أن تمام حسان قد حدد لكل عنصر من عناصر السياق دوره في إظهار المعنى، كما أنه وسّع هذه العناصر لتشمل مجموعة القرائن اللفظية والدلالية المصاحبة للكلام المنطوق، إذ أنّ الحركة نابت عن الكلام، وجسّدت العواطف، والأفكار التي بإمكانها الكشف عن المعنى، فكل هذه الأمور لا تراها العين في الكلام المكتوب، وإنما تراها مصحوبة بالكلام المنطوق.

[1] المرجع نفسه، ص 346.

[2] تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص 352.

تم تناول "تمام حسان" نظرية "فيرث" في كتابه « مناهج البحث في اللغة» فأخذ عنه مصطلح المجريات[1] كحجر أساسي في منهجه الدلالي؛ وقد خلص "تمام" من هذا أن " فيرث" أظهر اهتمامه الواضح لهذا الاصطلاح؛فيقول: « إن النظرية التي جاء بها فيرث إمبريكالية عملية، لا نظرية للمعنى ويمكن وصفها بأنها نسق من المجريات، كل ماجرى منها في داخل الآخر، وتتجه جميعا إلى شرح الحقائق اللغويّة، وكل ماجرى منها وظيفة الماجرى الذي يشتمل عليه، ولا يزال يشتمل كل من هذه المجريات على الآخر، حتى تحتويها جميعا ماجريات الثقافة التنشيئية. فالمعنى في رأي فيرث كل مركب من وظائف لغوية هي وظائف الصيغة، والعناصر الهامة في هذا الكل المركب هي الوظيفة الأصواتية (الصغرى)، ثم الوظائف الكبرى المعجمية، والصرفية، واللغوية، ووظيفة المجريات الدلالية بصفة عامة.»[2]

بمعنى أن الماجريات التي يعالجها اللّغوي على المستوى الصرفي والنحوي، والمعجمي متعلقة بالنص ونعرض لها بكل سهولة، أي أن الماجريات الاجتماعية عنده تصنف بحسب أنواع وظائف اللغة، فيصل إلى وضع طريقة في طرق تحليل العناصر الموجودة، في النص ومجرياته ليصف ذلك فالجدول التالي:[3]

المنطوق	الخصائص اللغوية	الماجريات	نوع المنسبة	الأثر
نص حي	تحليل النص لغويا	السلالات المادية والإجتماعية	مناسبة النص مدح، ذم...الخ	نوع الإستجابة

فالمنطوق هو كل لفظ نطق به المتكلم من مجموع القرائن اللفظية التي تمكننا من فهم النص فالمنطوق إذن كل ما دل عليه اللّفظ في محل النطق؛ فيقول "تمام حسان": «سأستخدم لفظ المنطوق ليدل على مفهوم الجملة: وليدل كذلك على أن المعنى الذي ندرسه هنا هو معنى نصي حتى يجري على اللّسان»[4]

[1] أشار الباحث: رده الله بن رده بن ضيف الله الطلحي، في رسالته " دلالة السياق" جامعة أم القرى، أن تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، قد تخلى عن مصطلح الماجاريات (..) واكتفى في التاصيل لمفهوم الموقف ط1، 1424هـ، ص 590.

[2] تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط،1989م، صد/ط،1989م، ص68-269.

[3] تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب (تشقيق المعنى)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ج1، 1427هـ – 2006م، ص 336-338.

[4] المرجع نفسه، ص330.

أي أنه استعمل مصطلح (المنطوق) بدلا من مصطلح (الجملة) الذي يعبر عن مفهومها، بذلك تتوسع دائرة البحث في النص إلى كل ما يتلفظه المتكلم وتخرج من لسانه شرط إفادة المعنى اللغوي، ومن ذلك يقسم المعنى إلى ثلاثة معانٍ في النص:[1]

أ- المعنى الوظيفي: وهو معنى الجزيء التحليلي كالصوت، والحرف، والمقطع، وهلم جرا، وكل ذلك لا يمكن أن يُدّعى له وجود مستقل في اللغة.

ب- الإطلاق:وهو المعنى العرفي الذي أعطى للكلمة بالوضع ويصلح لأن يسجله المعجم.

ت- القصد أو المقصود: وهو المعنى الاجتماعي المراد من المنطوق.

- ويمكن القول هنا أن عناصر السياق عند "حسان تمام" تتمثل في المتكلم، والمتلقي، والزمان، والمكان ومناسة الحدث اللغوي، ومختلف الظروف الخارجية التي تعين على تحديد المعنى المراد. ونتعرف عليها فيما يلي:

1- المتكلم: من بين العناصر التي تتعلق بوظيفة اللغة التعبيرية، فمن خلاله يكون الشروع في الكلام، بالإضافة إلى أن الكلام يفهم في ضوء شخصية المتكلم التي تتشكل في مجموعة من الخصائص، أهم هذه الخصائص، نجد طريقة الأداء، وجنس المتكلم، ما عرّفه "تمام" ؛ في قوله: «ما اصنعت اللغة بين معانيها العامة الخاصة معاني التكلم (المتكلم)، والخطاب (المخاطب)، والغيبة (الغائب)، فالأفراد والتثنية، والجمع، والجنس، والبناء للمعلوم، والبناء للمجهول، وهلم جرا مما يشير إلى إعتداد اللغة بإختلاف (المقام) الذي يجرى فيه المقام من جهة، وإعتدادها من جهة أخرى بدور الفرد في الأداء الكلامي إيجابا وسلبا، ولقد كانت هذه المعاني دائما في اللغات المختلفة أساس تنوع الإسناد وأساس تنوع الضمائر في صورها ومعانيها»[2]

بمعنى أن طريقة الكلام هي الأسلوب الذي يمكننا من فهم الخطابات، فالأداءات المصاحبة للكلام موجودة عند كل شخص تساهم في المعنى، لكن المقصود أننا نفهم أداء الشخص كتدخل في المعنى؛ أي أننا نؤدي نفس العبارة في نفس الظروف لكن أدائنا بطريقة مختلفة يعطينا معنى مختلف، ومن هذا يصرف "تمام حسان" الإنتباه إلى كيفية نجاح العملية التبليغية في اللغة بمراعاة المتكلم الفئة المقدم لها النص؛ فيقول تمام: « وإن من ينظر إلى خطب الزعماء السياسيين والوعاظ، والشعراء، والهتافات والإعلانات ليستطيع أن يجد الضوء

[1] تمام حسان ، مرجع سابق ذكره، ص334.

[2] تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994م، ص361.

القوي الذي يمكن له أن يسلطه على هذا الموضوع. فالزعماء في خطبهم يفضلون العدول عن ضميري التكلم إلى كلمة "الشعب" فيقولون "إنّ الشعب يريد..." في مكان " نحن نريد" أو "أنا أريد" لما في استعمال "أنا" من إيحاء بالفردية والتسلط ولما في "نحن" من احتمال تعظيم النفس. والمعلوم أن مقامي التسلط وتعظيم النفس ليس مما يقرب الزعماء من قلوب الجماهير.»[1]وبهذا يؤكد العلاقة التلازمية بين النص والسياق، وذلك لأنّ المقام هنا حتم على المخاطب إختيار ضمير "نحن" الذي يتصف بالمشاركة والإستغناء عن ضمير المتكلم "أنا" لأنه يفيد الإستقلالية والذاتية، فكانت اللغة تستخدم بقصد التعبير عن موقف نفسي والتأثير في البيئة المحيطة، وعليه فمتى كان المتكلم يمتلك آليات التنويع في القالب اللغوي بحسب ما يقتضيه السياق من ملابسات خارجية تحقق الفهم.

المتلقي: تحدثت "تمام" حسان عن المتلقي في باب "المعنى" باعتباره عنصر من عناصر السياق تساهم في تبليغ المعنى وتوضيحها، وذلك في إطار حديثه عن العلاقة " العرفية بين الرموز والمعنى"، وكذا توضيحه مسألة المقام أو مقتضى الحال، بحيث تنوعت وتعددت نظرة كل من الدراسات اللغوية الحديثة والدراسات البلاغية العربية إلى المقام بين سياق الحال والموقف فكان لكل منها توجه خاص بها، أما اللُّغويون العرب القدماء فقد أظهروا اهتمامهم بالمقام من الجانب الجمالي الذي يظفيه على المعنى؛ فيقول هذا الأخير « لقد فهم البلاغيون (المقام) أو مقتضى الحال فهما سلوكيا قاسيا نمطيا مجردا، ثم قالو "لكل مقام مقال" (...)، فهذه المقامات مفاهيم مجردة، وأطر عامة، وأحوال ساكنة (...)، وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني(satic) ، فالذي أقصده بالمقام المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر " المتكلم" جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم (Speeth evant)، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي يشمل كل جوانب عملية الإتصال (..)، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد، أجد لفظ "المقام" أصلح ما اعتبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (contexte of situvation) الذي يستعمله السياسيون المحدثون.»[2] ويبدو أن "تمام حسان" يربط المعنى بالجانب التداولي الإستعمالي بحيث يضم كل عناصر السياق بداية من أقوال المخاطبين، ثم يركز بشكل مفصل على ثقافة المتلقي أو القارئ وعلاقته بفهم النّص، لكونه

[1] تمام حسان، مرجع سبق ذكره، ص362.

[2] تمام حسان، أصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النّحو.فقه اللّغة- البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، د/ط، 1460هـ- 2000م، ص 303-304.

الحجر الأساسي في فحص و تنقيب العبارات والجمل متجاوزا بذلك القراءة السطحية للنص إلى القراءة الداخلية العميقة على كل العناصر الخارجية المحيط بإنتاج الخطاب، كما أن إختلاف المتلقي هو الذي يؤدي إلى إختلاف نوع الكلمة في الإستعمال فيمثل عليه "تمام"؛ في قوله: « وإنّ من ينظر على خطب الزعماء السياسيين، والوعاظ، والشعراء، والهتافات، والإعلانات، ليستطيع أن يجد الضوء القوي الذي يمكن له أن يسلطه على هذا الموضوع. فالزعماء في خطبهم يفضلون العدول عن ضميري التكلم إلى كلمة "الشعب" فيقولون "إن الشعب يريد ..." في مكان " نحن نريد" أو "أنا أريد" كما في استعمال "أنا" من إيحاء بالفردية والتسلط ولما في "نحن" من احتمال تعظيم النفس، والمعلوم أن مقامي التسلط وتعظيم النفس ليس مما يقرب الزعماء من قلوب الجماهير»[1]

ومن المهم ملاحظة أن الكلام هنا يتغير المقصود منه من سياق لآخر، بمعنى أن في هذا المثال الرئيس مع شعبه يقول " نحن نريد" أو "الشعب يريد" دلالة على مشاركتة الرأي مع شعبه وفي المقابل لوكان أمام البرلمان أو الرأي العام سياق عبارة – الشعب يريد- يختلف فأصبحت خاطئة الآن لأنه ليس جزء من ذلك الجمهور فيقول " أنا أريد"، فطبيعة الفرد المتلقي بتحكم في اختيار نوعية معينة من الكلمات.

2- الزمان والمكان: للزمان والمكان قيمة دلالية في الحدث اللغوي، فالمكان يفيد مفهوم السياق بواسطة ذكر أسماء المواقع الجغرافية، والمدن، القرى، وأماكن قد تحمل دلالات عاطفية، وساحات حرب...إلخ، في حين الزمان يفيد مفهوم السياق عن طريق ذكر مناسبات وطنية أو مناسبات دينية، وغير ذلك، فكل هذا ما ان دل فهو يدل على تأثيرهما على النص بشكل مباشر في إبراز الحقيقة – سياق واقعي- وبهذا يربط القالب اللغوي بثقافة ومجتمع المتكلم، فالمتلقي كلما كان على دراية بالزمان والمكان الذي قيل فيه النص كلما استجاب للمعنى، ويظهر ذلك في نوع من السياقات عند تمام حسان هو«سياق الموقف بين شخصين»[2] يجمع بينهما مكان إجراء هذه المحادثة ولا تربط بينهما أي صلة قرابة، فيؤدي إلى جمود العملية التواصلية، ما استدعى إلى تدخل أحد الطرفين لإنجاز رسالة تواصلية بينهما، وهذا ما أشار إليه من خلال هذا المثال: « أن تكون في حجرة انتظار أحد الأطباء بمفردك، ولم يحضر الطبيب إلى عيادته فتظل بمفردك تنتظر قدومه، وفجأة يقدم عليك زائر آخر للطبيب فتضمكما الحجرة، ولا ثالث لكما. فلو سكتما ولم يفتح أحدكما بابا

[1] تمام حسان، العربية معناها ومبناها، مرجع سبق ذكره، ص 362.

[2] تمام حسان، العربية معناها ومبناها، مرجع سبق ذكره، ص 344.

للكلام لأصبح الموقف بينكما مفعما بنوع من الحرج الإجتماعي الذي يشعر معه كل منكما برغبة في إنهاء الموقف، والحيلة الإجتماعية لتجنب هذا الحرج هي فتح موضوع لتبادل الكلام.»[1]

بمعنى أن تمام حسان هنا يوضح أن طبيعة المكان تحتم على الشخص الكلام قصد تفعيل العملية الإبلاغية بشرط تجنب طرح المواضيع الخاصة أو المحرجة بينهما، وبالتالي فعناصر المقام عند تمام حسان تتجلى في: المتكلم والمتلقي، ومعضدات الكلام، والتكلم (النص). فيقول المقام هو: «مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابا أو سلبا ثم العلاقات والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان.»[2]أي أن نراعي المعنى الدلالي المستوحى من الظروف الخارجية في إنتاج النص، وبهذا فهو يسير في نفس المنحنى الذي يسير فيه أستاذه "فيرث"،في تحديد عناصر السياق الذي أصبح مجال إهتمام اللّسانيات الحديثة.

4-المناسبة: وهي صفة تابعة للموقف الذي قيلت فيه العبارة، وبمعنى آخر هي مختلف الظروف التي ساهمت في إنتاج النص وفي ذلك تلميح إلى ملائمة العناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية المشكلة للنص أي الأحداث الملازمة له؛ على سبيل المثال:" قولوا له يسكت" ؛فيقول تمام حسان: « لنفرض إذن أن هذا المنطوق قد جرى في معرض السخرية، ولابد حينئذ أن نضع في خانة المناسبة أن الموقف كان موقفا يتطاول فيه رجل على رجل آخر بمحضر جماعة، ولم يكن حقه أن يتطاول، فأراد هذا الآخر أن يرد عليه فلجأ إلى النطق بهذا المنطوق الساخر الذي يوحي بأن السامعين يعلمون من نقائص هذا المتطاول شيئا كثيرا يجعلهم بموضع يمكنهم من الحكم عليه بالنقص، وهكذا لا يكون الشخص الآخر بحاجة إلى أن يرد عليه بنفسه.»[3] فتمام هنا يتحدث عن المناسبة وموقف الحال، فلو إفترضنا شخص تطاول على شخص أفضل منه والحاضرون يعلمون ذلك فرد عليه بقول ساخر، فالمناسبة هي السخرية التي جعلته ينطق به، والرجل المتطاول له إستجابتان هنا محتملتان، لكنه يفضل السكوت مخافة أن يفضح نفسه، فالحاضرون يعلمون أن فيه نقيصه مقارنة بالآخر.

وقد تتضح هذه المسألة بعدد من الأمثلة : فمثلا «عند حدوث الموت لا بد من الصراخ، والعويل، ولبس السواد، ولابد عند الزواج من الزغاريت وإطلاق الأعيرة النارية، إذ قد يحدث هذا ولكنه ليس مقضيا.» [4] بمعنى أن

[1] المرجع نفسه، ص 343- 344.

[2] تمام حسان، العربية معناها ومبناها، مرجع سبق ذكره، ص 351.

[3] تمام حسان اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية، مرجع سبق ذكره، ص 122

[4] تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب ، مرجع سبق ذكره، ص 340.

الموت والزواج كلاهما مناسبة لكن الذي يقال في مناسبة تعزية ليس نفسه الذي يقال في مناسبة تهنئة، لأن السياق يفرض ذلك فاللباس الأسود، والعويل، والزغاريد...إلخ، كلها معضدات كلامية مقوية للمعنى؛ أي مجموعة القرائن التي تصاحب الكلام وتضبطه حتى تعطيه المعنى الخاص به، ويوضح هذا بمثال آخر: « ففي قولنا (يا سلام)، و(يا) حرف نداء، وأن كلمة "سلام" إسم من أسماء الله تعالى وهي كذلك ضد الحرب . فإذا أخذنا بالمعنى الوظيفي لأداة النداء والمعنى المعجمي لكلمة سلام حين ننادي "سلام" فإن المعنى الحرفي أو المقالي أو ظاهر النص أننا ننادي الله سبحانه وتعالى لا أكثر ولا أقل ولكن هذه العبارة صالحة لأن تدخل في مقامات اجتماعية كثيرة جدا ومع كل مقام منها تختلف النغمة التي تصحب نطق العبارة فمن الممكن أن تقال هذه العبارة في مقام التأثر وفي مقام التشكيك، وفي مقام التوبيخ، وفي مقام الإعجاب، وفي مقام التلذذ، وفي مقامات أخرى كثيرة »[1].

وانطلاقا من هذا يبين لنا أن المعنى الدلالي يفهم من المقام؛ أي من السياق الاجتماعي والوقف بكل ملابساته وظروفه (الزمان، والمكان، وغير ذلك)، فعبارة "يا سلام" تغير معناها المقصود بالضبط حسب الموقف، مرة يقصد بها الإعجاب، ومرة السخرية، والتحقير، ومرة الانكار ....الخ.

وفي مثال آخر؛ يقول لتمام حسان: «المقام عنصر ضروري جدا لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرسه عندما يراها، " أهلا بالجميلة" يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس " هو مقام الترويض وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها، أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الإجتماعي أيضا فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالذمامة. فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي " أهلا" و"الجميلة" وعلى المعنى الوظيفي لهما وللباء الرابطة بينهما لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلاَّ بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النّص.»[2]

ومن المهم ملاحظة أن الكلام هنا يتغير المقصود منه من سياق لآخر "أهلا بالجميلة" لما نقولها للفرس نقصد الترويض، ولما نقولها لشخص ما نقصدها الغزل، أو ربما نقصد القبيحة تماما بحسب السياق وهذا هو المعنى الدلالي الذي يفهم من المقام الذي قيلت فيه، "فتمام" هنا يفلت الإنتباه إلى العلاقة الوطيدة بين الثالوث

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 345.

[2] تمام حسان، اللغة الربية معناها مبناها، مرجع سبق ذكره، ص342.

الساني (المتكلم، والمتلقي، والظروف الخارجية التي تحيط بالقالب اللغوي) وبيان دور السياق في ترجيح المعنى وربطه بالجانب الاجتماعي للغة.

II.4. تأثير السياق عند تمام حسان

تعود أهمية السياق لكونه الضابط الدلالي المحدد للمعنى، كما تعود أهمية السياق أو المقام في الدرس الدلالي إلى فهم النّص وفك رموزه، والوقوف عند كل لفظ وموقعه من الكلام، فلولا عناصر السياق ما انتظم أي تواصل بين أطراف العملية التواصلية؛ ولم يفغل تمام حسان اهتمام الدراسات اللغوية الحديثة بدراسة المعنى فأولى عنايته به من خلال شرحه فكرة المقام؛ فيقول: «هي فكرة المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاض، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من جود المعنى الثلاثةن وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال"»[1]. ونلاحظ على هذا النّص أنّ تمام حسان يتحدث عن العلاقة بين المرسل/ المتكلم، والمرسل إليه/ المتلقي، والنّص، والدور الذي يطّلع به السياق أو المقام في تحقيق الغرض التواصلي، والدور الذي يؤديه السياق في عملية التواصل في الزمن الحديث في عبارته "الوقت الحاضر"، وهذه الأخيرة تشير إلى وقت تأليف كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها"؛ لأنّه ذكرنا يفضل مصطلح السياق على المقام لأن المقام يربطه بالمفهوم التقليدي الذي كان يعنيه عند البلاغيين العرب القدماء، وبالتالي يجب الإحاطة بمجمل الظروف التي تحيط بإنتاج الخطاب.

ويستمر تمام حسان في إبراز دور سياق الحال أو المقام في تحقيق الترابط المعنوي بين عناصر النّص؛ فيقول: «لعناصر الموقف الذي يحدث فيها أداء النّص، وهي ما يسمى contexte of situation دور مهم جدا في فهم النّص، فهو يتوقف الفهم على نوع العلاقة بين المتكلم والسامع».[2] بمعنى أنّ كلمات اللغة تبقى مبهمة دون السياق الذي ترد فيه، فالسياق آلية منتجة للدلالة مؤديه للغرض المرجو من الكلام؛ يتضمن كل ما له علاقة بالإتصال اللّساني سواء أكان لغوي أو غير لغوي، والهدف من كل ذلك هو تكييف الكل بما يلائمه ويقدم في ذلك مثال؛ فيقول: «إذا كان بينك وبين صاحبك مناقشة أردت أن تقنعه فيها بأمر يهمك ولا يهمه فرأيته يكثر من الجدل ثم لا يقتنع برأيك فقد تلوّح له بيدك في حركة رافضة وتقول: السلام عليكم وأنت تنصرف، هكذا

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص337.

[2] تمام حسان، مقالات في اللّغة والادب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ج2، 1427هـ-2006، ص83.

تصبح التحية الإسلامية ذات معنى لا يمت إلى التحية الأصلية، إذ تتحول إلى تعبير عن المغاضبة وقد يتوقف فهم النص على العلاقة بين الأفراد والأحداث».[1] أي أنّ الحركة هنا نابت عن الكلام، فالسياق هو الذي يفرق بين معنى هذه العبارة "السلام عليكم" ما إذا كانت قصد التحية أو عقد التعبير عن الغضب.

من خلال ماسبق نستنتج أنّ تمام حسان عرض إلى السياق وحدد مفهومه بشكل صريح ومباشر، بمعنى التتابع والتوالي إذ لايكاد يختلف على المفهوم اللغوي له، وتشتمل دراسته كل أنواع السياق(السياق اللغوي، وسياق الموقف،و السياق العاطفي،و السياق الثقافي)، والملفت للإنتباه في مباحثه أنّ عناصر السياق عنده تمثل كتلة واحدة غير قابلة للفصل، فغالبا كل قول أو مثال نجده يشمل فيه المتكلم، والمتلقي، وكل الظروف الخارجية المحيطة بالحدث الكلامي.

III. السياق بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان

سنقوم في هذا المبحث بمقارنة بين الجرجاني وتمام حسان وذلك بمناقشة أراء كل منهما فيما يخص :

1مفهوم السياق

2أنواع السياق

3عناصر السياق

4تأثير السياق

وفيمايلي تفصيل لهذه المقارنة:

1مفهوم السياق:

من خلال ما قدّمناه سابقا من بحث عن السيّاق عند كل من" عبد القاهر الجرجاني "و "تمام حسان " يمكن القول أنّ كلاهما قام بدراسة والتّطرق إليه بمنهجه الخاص حيث أن الجرجاني باعتباره من البلاغيين القدماء

[1] المرجع نفسه، ص83.

طرح هذا الموضوع من خلال كتابيه" دلائل الإعجاز "و"أسرار البلاغة ."أما تمام حسان فهو الأخر قام بطرح نفس الموضوع بمنهجه الخاص وذلك من خلال كتابيه" اللّغة العربية معناها ومبناها "و"مناهج بحث في اللّغة."

فالمقام كان هو الفكرة والمصطلح الجامع للسياق عند كليهما، ويعتبر المقام جميع الظروف المحيطة بالحدث الكلامي .وقد كان لكل واحد منهما طريقته في تعريفه وتقديم مفهوم له .فالجرجاني لم يقدّم له مفهوما صريحا؛ بل تحدث عنه ضمن أقوال يفهم من معناها أنه قام بتعريفه .وكما ذكرنا سابقا فالسياق عنده عباره عن التأليف والتركيب، وكذا الظروف المحيطة أثناء القيام بعمليّة الكلام .ومن بين تلك الاقوال التي ضمن فيها الجرجاني مفهوم السياق نذكر{ أن يكون امتناع تركه على ظاهرة لأمر يرجع الى غرض المتكلم أي الكلام ألا ترى أنك لو رأيت سل القرية في غير التنزيل لم تقطع بأن ههذا محذوفا لجواز.....كالرجل المعروف بمماثلة زيد أحد}[1]

وعلى خلاف الجرجاني؛ قام" تمام حسان "بتقديم مفهوم واضح وصريح للسياق، وذكر ذلك بعنوان عريض جليّ واضح وكذلك هو الأخر، يتمثل السياق عنده في التتابع والتوالي فإن المفهوم عندهما لا يخرج بعضه عن بعض، وكأن الأول كان مفهومه بلغة عصره وزمانه، وتفكير قومه ومجتمعه.حيث قال في كتاب اجتهادات لغوية {المقصود بالسياق التوالي ومن ثم يمكن النظر إليه من زاويتن : أولها توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي وفي هذه الحالة يسمى سياق النص أما الثانية فهي توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف التي جرى فيها الكلام وتسمى بسياق الموقف}[2]

ويرجع ذلك إلى أن طريقة التأليف عند القدماء تختلف عن طريقة التأليف عند المحدثين وكذلك إلى أن المصطلحات لم تكن قد استقرت في تلك الحقبة حيث كان البحث اللغوي العربي في بداياته وكانت مؤلفات البلاغيين غير مستقرة بل نجد المفهوم الواحد تستعمل له تسميات مختلفة أو تناوله الدارسون دون يحددوا له مصطلحا خاصا كالسياق والتنغيم والنبر... الخ

كما لايفوتنا التنبيه على تداخل العلوم فمؤلفات الجرجاني تختلف في مجالها عن مؤلفات تمام حسان وبقية المعاصرين إذ أن دلائل الاعجاز مثلا هو كتاب يحاول بسط وتأكيد اعجاز القران الكريم وكذلك تناول النحو والباغة وغيرها.

[1] عبد القاهر الجرجاني .أسرارالبلاغة ص 309 310 .

[2] تمام حسان . اجتهادات لغوية . ص 207.

أما تمام حسان فمؤلفاته متخصصة فكل مؤلف منها يقع ضمن مجال علمي معين

2أنواع السياق:

أمّا أنواع السياق، فيمكن القول أنّ السياق في القديم) عند القاهر الجرجاني (ينحصر في نوعين هما :السياق اللّغوي والسياق الحالي.

فالسياق اللّغوي هو ما يتمثل حسن التركيب داخل العبارات والجمل .وفي حسن اختيار الكلمات لما قبلها وما بعدها.

أمّا السياق الحالي فهو كلّ ما حول الكلام من ظروف وملبسات وأمّا أنواع السياق في الحديث) تمام حسان(، فهي كذلك تنحصر في نوعين هما :السياق المقالي وهو نفسه السياق اللّغوي والذي يمثل علاقات نحوية ومعجمية أو دلالية تتمازج هذه الدلالات داخل نسج النّص.

أما النوع الثاني فهو :السياق المقامي وهو نفسه) السياق الحالي (فهو عنده عبارة عن ربط اللّغة بالجانب الاجتماعي، أي لابد من مراعاة كل الظروف المحيطة أثناء القيام بالكلام.

إذن يمكن القول أنّ الأنواع عند الجرجاني وتمام حسان لا تخرج عن نوعين، واللّذان يتمثلان في) السياق اللّغوي، السياق المقالي (ويكون داخل الجمل والعبارات والنّصوص وما يحيط بها، فالأول داخلي مرتبط بحسن السبك والتأليف والثاني خارجي مرتبط بالظروف المحيطة.

ونشير إلى أن تمام حسان قام باستخلاص هذين النوعين من خلال دراسته لتضافر القرائن، لأنه رأى في نظرية العامل أنّها تحيط بجميع الظروف الداخلية والخارجية للنّعت.

لكن تمام حسان قام بالتفصيل وذكر أنواع عديدة للسياق الحالي والتي تتمثل في:

السياق الاجتماعي :ويقصد به أن اختلاف التعابير يمثل انعكاس اختلاف الظواهر الاجتماعية والبنى التركيبية.

السياق السياسي :ويتجنب كل كلمة مباشرة قد تدينه فيتحدث دون تحديد لأن الكلام المباشر يعتبر وعد موثق.

السياق التاريخي :يمثل الخلفية المعرفية للأحداث تعين على فهم النص حتى ولو كان وقت متأخر

السياق الاستشهادي :يقوم على استحضار حدث يوضح حادثة في وقت حاضر

سياق اللغو : أي عند التقاء شخصين في قاعة الطبيب يفرض السياق عليهما فتح مجال الحديث

السياق الثقافي:

وعليه يمكن القول أنهما يتفقان من حيث أنهما يحصران السياق في نوعيين وهما السياق اللغوي والسياق المقامي الا أنهما يختلفان في التقسيمات فالجرجاني لم يذكر أي أقسام للسياق الحالي لكن تمام حسان قام بتقسيمها وشرحها والتمثيل لها.

3عناصر السياق:

وبالانتقال إلى الحديث عن عناصر السياق عندهما فيمكن القول أنها تتشابه نسبيا بينهما فهما يشتركان في الكثير منها ولكن تختلف نظرة كل منهما الى كل عنصر من عناصر السياق

فنبدأ أولا بالحديث عن عبد القاهر الجرجاني الذّي تتمثل عناصر السياق عنده في :المتكلّم، المتلقي، العلاقة بينهما، معرفة أسباب النزول.

"فالمتكلم "عنده هو المسؤول عن حسن وقبح استعمال الكلمات والجمل فإن أحسن اختياره لها وأحسن اختيار السياق الذي يضعها فيه أصاب وإن أساء الاختيار أخطأ.

أمّا" المتلقي "فهو الأخر يلعب دورا هاما في السياق، حيث أنه بالنّسبة إليه يقوم بجهد وتفكير من أجل فهم وتوجيه سياق الكلام والنّص .

فإن أحسن الفهم كان توجيه السياق حسن وإن أخطأ الفهم لم يقم بتوجيه السياق والمعنى إلى مساره الحقيقي، فحسن الفهم عند المتلقي يؤدي إلى تحقيق الغرض الذي يطمح إليه المتكلّم.

في حين تتمثل" العلاقة بين المتكلم والمتلقي "في " النّص "أو" الكلام " فلا يمكن أن تكون هناك صلة بين المتكلّم والمتلقي إلاّ بوجود هذه الصلة.

فالنّص بالنسبة لعبد القاهر الجرجاني عبارة عن جسر رابط بين المتكلّم والمتلقي.

واعتبره أحد أهم عناصر السياق.

أمّا التطرّق إلى" معرفة أسباب النزول "فهي كذلك من أحد أهم عناصر السياق عند الجرجاني، وقد اعتبر أن معرفة سبب نزول الآية أو السورة من أجل فهم معناها يعتبر من الإعجاز.

في المقابل فإنّ عناصر السياق عند تمام حسان تتمثل في :المتكلّم، المتلّقي، النّص، المناسبة، الزمان والمكان، فالمتكلم عنده يقوم بطرح شخصيته في النّص الذي يقدّمه، فهو من يقوم بتفعيل العمليّة التبليغية، ويقوم بمراعاة السياق الذي يطرح فيه نفسه.

أمّا المتلقي عنده فيمثل الوظيفة الإفهامية أنّ المتكلّم غرضه هو الوصول إلى إفهام المتلقي، إذن كذلك يقوم بجهد من أجل فهم الكلام الموجه إليه.

في حين أنّ النّص عنده عنصر فيه وذلك من خلال ربطه بمواقف اجتماعية متحركة تشمل المتلقي والمتكلّم والزمان والمكان وهذا على المستوى الخارجي له أو السياق الخارجي وقد درس النّص كذلك من خلال السياق الداخلي أو ما يسمى عنده بالموقعيات.

وتعتبر المناسبة كذلك من أهم عناصر السياق عند تمام حسان فالنّص مرتبط بالمناسبة التي يقع فيها الحدث الكلامي، فالملفوظ قد يكون نفسه لكن السياق التي ترد فيه يختلف باختلاف المواقف التي تحيط بإنتاج الخطاب.

وأخر عنصر من عناصر السياق يتمثل في" الزمان والمكان "فلولا وجود الزّمان والمكان فإن النّص يبقى فارغا مبهما فلابد من إطار زماني ومكاني يجمع بين المتكلّم والمتلقي.

4.تأثير السياق:

أما عن تأثير السياق بين القديم والحديث فنقول أنّ عند القاهر الجرجاني يرى أنّ السياق يؤدي إلى كشف المعنى وتوضيحه وتوجيه الدلالة فإذا غاب السياق كان هناك إبهام وبين ذلك في العديد من المرات وقد ذكرنا ذلك سابقا.

وتمام حسان هو الأخر يرى أنّ السياق يقوم بالكشف عن الدلالات وتوجيهها وتوضيح المعنى.

في الأخير نخلص إلى القول أنّ السياق عند عبد القاهر الجرجاني وعند تمام حسان يتفق في العديد من الأمور فكلاهما قام بالحديث عن نفس النقاط، والفرق الموجود بينهما أنّ الجرجاني لم يتكلّم عن السياق بصفة مباشرة ولم يخصص له أبوابا وفصولا في كتبه بينما تمام حسان تناوله بطريقة واضحة ومباشرة وقام بتخصيص عدّة مباحث له ضمن كتبه.

خاتمة

خاتمة:

وفي نهاية هذه الدراسة نستخلص النتائج التي توصلنا إليها والتي كان مفادها معرفة مدى وعي الجرجاني بقضية السياق وكذا وعي تمام حسان به وقد تبين لنا أن :

الوعي اللساني بالسياق عند الجرجاني كان واضحا حيث أنه عالج السياق وتناوله مضمنا في أقوال بصفة غير مباشرة على خلاف تمام حسان الذي كان وعيه بالسياق واضحا لكن كان بصفة مباشرة وتحت عناوين عريضة في مؤلفاته.

إضافة إلى هذا نخلص كذلك إلى نتائج أخرى تتمثل في :

- كانت نظرة القدماء الى السياق ذات طابع مميز ذلك أنها عالجته ضمن مؤلفاتهم التي تعددت مواضيعها .
- في حين أن نظرة المحدثين إلى السياق كانت ضمن كتب ومؤلفات عنته هو بالتحديد وقد كان جهدهم وتأليفهم بخصوص السياق واضح .
- يتمثل القدامى في البلاغيين والأصوليين والنحويين والمفسرين وقد استعملوا السياق كوسيلة لفهم النصوص القرأنية خاصة المفسريين والبلاغيين حيث كان السياق بتالنسبة الوسيلة السهلة التي تجعلهم يفهمون معنى الايات القرأنية وكذلك عن طريق ردها الى السياق الذي نزلت فيه
- وأما المعاصريين فمنهم العرب ومنهم الغرب وبالنسبة للغرب فقد اعتنوا بالسياق وأولوه اهتماما كبيرا وألفوا فيه العديد من الكتب واستعملوه كذلك كوسيلة للكشف عن الدلالات والمعاني متأثرين بالعرب القدامى في استعماله غير أنهم يعتبرون أول من وضعوا السياق كمصطلح
- أهم فوائد السياق تتمثل في الكشف عن المعنى والدلالة وتوجيهها .

وفالأخير نخلص إلى القول أن هذا الموضوع الذي تناولناه مزال يحتاج الى الكثير من البحث والدراسة ذلك أنه موضوع متشعب خاصة فيما مايخص السياق عند عبد القاهر الجرجاني فكتبه تحتاج إلى الكثير من الوقت من أجل أن يوفيها الباحث حقها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المعاجم:

1. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي :معجم مقاييس اللغة ، تح وضبط عبد السلام هارون ، دار الفكر ،القاهرة ،ط1981،1.
2. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري :أساس البلاغة ،دار الكتبالعلمية ،بيروت ط1998،1.ج2.
3. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي :لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ط2010،1.

المصادر:

1. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني :دلائل الاعجاز

_تحقيق :محمود شاكر ،مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط 1 ،1981.

_تحقيق: محمد رشيد رضا ،المنار ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،1981.

2. أسرار البلاغة :

_تحقيق :محمد الاسكندراني،دار الكتاب العربي ،بيروت، ط2 ، 1998.

_تحقيق: محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ،لبنان ، 2003.

_تحقيق :محمد رشيد رضا ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،1982.

3. أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني:النكت في اعجاز القرآن ،تح محمد خلف الله أحمد ،دار المعارف ،ط3 ، 2010.
4. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ :البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون ، ج1.
5. الامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن الكثير القرشي الدمشقي ،تفسير ابن كثير ،دار المستقبل ،مصر ،القاهرة،ط1 ، 2014.

6. الواحدي أبو الحسن علي بن الديسبابوري :أسباب النزول ،دراسة وتحقيق، السيد الجميلي ،دار الكتاب العربي ،1990.

7. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر :

_أسباب النزول ،المكتبة الشعبية ،بيروت ،ط2.

_شروط التفسير وأدابه ،تح فوار أمرزميلي ،بيروت ،لبنان ،ط1 .

8.يوسف بن أبي بكر السكاكي :مفتاح العلوم ،تح نعيم زرزورة ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط2 ،1987.

المراجع العربية :

1. ابن القيم الجوزيه : بدائع الفوائد ،تح علي محمد عمران،دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ،1980، ج4.

2. ابن القيم الجوزيه :الصواعق المرسلة على الجميمية والعطلة ،تح علي محمد الدخيل ،دار العاصمة بالمملكة العربية السعودية ،1998.

3. ابن هشام :مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب تح حنا الفاخوري، دار الجيل ،بيروت ،لبنان ، ط2، 1997.

4. أبو العباس محمد بن يزيد عبد الاكبر الملقب بالمبرد ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ،المكتبة ،صيدا ،بيروت ، ج2

5. أبو حزمة:نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث ،أريد ،الاردن ،2004.

6. أبو عبيدة :مجاز القرآن ،تح محمد فؤاذ ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1 ،1988،ج1.

7. أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ،مكتبة زهراء الشرق ،2001،ط1.

8. أحمد مختار عمر :علم الدلالة عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2006.

9. أحمد مؤمن :اللسانيات النشأة والتطور ،ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،2005.

10. تمام حسان : الاصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب .

11. تمام حسان : اجتهادات لغوية ،عالم الكتب ، القاهرة ،ط1 ،2007.

12. تمام حسان: الفكر اللغوي ، عالم الكتب ،القاهرة ،ط1.
13. تمام حسان: اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات ،عالم الكتب ،القاهرة ط1 ، 2002.
14. تمام حسان: اللغة بين الوصفية والمعيارية ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ،2004.
15. تمام حسان: فقه اللغة _البلاغة ،عالم الكتب ، القاهرة 2000.
16. تمام حسان: مقالاتفي اللغة والادب ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2006،ج2.
17. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ، مكتبة النسر للطباعة، 1989.
18. تمام حسان:اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1994.
19. الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، الفروق في اللغة ،تح محمد ابراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة ،مصر ،ط1991،1.
20. حليمة أحمد عماير :الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة ،دار وائل للنشر والتوزيع ،ط1 ،الاردن ،عمان ،2006.
21. السشافعي :الرسالة ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ج1.
22. الشاطبي :الموافقات ،ج2.
23. صاحب أبو جناح :دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان ط1 ، 1998.
24. صادق يوسف الدباس : دراسات في علم اللغة الحديث ، دار أسامة عمان، ط1 ، 2012.
25. صبحي ابراهيم الفقي :علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، دار الفناء للنشر والتوزيع، القاهرة ،ط 1 ،2000. ج1.
26. عبد الخليل منقور :علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، دمشق ،2001.
27. عبد الرحمن حسن العارف :اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر ، 1932 _2002.
28. عبد الرحمن حسن العارف : تمام حسان رائدا لغويا ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط2002،1
29. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي :دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلة للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق) ،دار الكتب ،1991.
30. عبد اللطيف حماسة: النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)،دار الشروق ،القاهرة ،ط1، 2000.

31. عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،ط1، 2007.
32. عمر ابراهيم خليل : في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة ،الاردن ،ط1، 2007.
33. عمر بن عثمان بن قبر الحارثي أبو بشر سيبويه ، الكتاب تح وشرح عبد هارون الناشر ، مكتبة الخانجي .
34. عواطف مصطفى كنوش :الدلالة السياقية عند اللغويين ،دار البيان ،ط2007،1.
35. الغزالي: المستصفى في علم الاصول ،المطبعة الاميرية بولاق ،1323هـ.
36. فاطمة الهامشي بكوش :نشأة الدرس اللساني العربي الحديث
37. فايق حزما :أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ،تحقيق حلمي خليل ،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،ط1 ،1985.
38. كمال محمد بشر :دراسات في علم اللغة
39. محمد ابراهيم شادي :شرح دلائل الاعجاز الامام الجرجاني ،دار اليقين ،مصر ،ط2 ،2013.
40. محمد الخطابي :لسانيات النص (مدخل الى انسجام الخطاب) المركز العربي ،بيروت ،1999.
41. محمد الطاهر بن عاسور :تفسير التحرير والتنوير ،الدار التونسية للكتاب ، 1984، ج1.
42. محمد بن قاسم بن محمد بن بشار سماعة بن ضرورة بن قطة بن أبو بكر الانباري :الاضداد ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا،بيروت ،1991.
43. محمد سالم صالح : الدلالة والتقعيد النحوي _دراسة في فكر سيبويه_.
44. محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت.
45. مختار لزعر :اللسان اللغة والكلام من التفريط السياقي الى الافراط النسقي ،دار الكتب الحديثة ،ط1 القاهرة ،2010.
46. مسعود بودوخة :السياق والدلالة ، بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1، 2002.
47. مسعود بودوخة :السياق والدلالة ،دار الايتام ،عمان ،الاردن ،ط1 ،2014.
48. مسود صحراوي :التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال اللغوية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ،المغرب ،ط1 ،1991.
49. ممدوح عبد الرحمن الرمالي :العربية والوظائف النحوية ،دراسة في أقسام النظام والاساليب

50. هادي نهر :علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،عالم الكتب الحديثة ،الاردن ، ط1،2008.
51. هاذي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الأمل ،الاردن ،ط1، 2007.

المصادر المترجمة :

52. براون وبول: تحليل الخطاب ، تر محمد لزليطي ،المستر العلمي والمطابع ، جامعة الللك سعود ، المملكة العربية السعودية ،1993.
53. جون ليونز :نظرية تشومسكي اللغوية ،تحقيق حلمي خليل ،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،ط1 ،1985.
54. رومان جاكبسون : قضايا شعرية ،تح محمد الولي ومبارك ،حنوز دارنوبفال ،المغرب، ط1 ،1988.
55. علي آيت أوشان : السياق والنص الشعري من البينية الى القراءة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، ط1 ،2000.
56. نعوم تشومسكي : البنى النحوية ،تر يوسف عزيز، بغداد ،ط1، 1987.

المصادر الاجنبية :

.57

MAHBIL ALBDUL WAHAB PEMIHIRON LINGUISTIH TAMAM HASSAN PEMBELAJAAHARTA UIN JAHARAT PRESS 2009 94

المجلات والرسائل الجامعية:

58. المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية ، م5، ع2 ،[ب3 ،2020.
59. رسالة دكتوراه : ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق ،جامعة أم القرى ،ط1، 1424هـ.

الدوريات والمواقع الالكترونية :

60. حديث الذكريات (برنامج حواري) ،حاور تمام حسان ،جاسم المطلوع ،المشرف العام على شبكة العلماء الالكترونية ،كان التسجيل في 1985_1932.
61. وكبيديا : الموسوعة الحرة.

الملاحق

I. الملحق رقم 1: نبذة عن عبد القاهر الجرجاني.

حياته:

هو عبد القاهربن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور من كبار أئمة العربية في زمانه. ولد عبد القاهرفي مطلع القرن الخامس الهجري بجرجان إحدى المدن الفارسية المشهورة، والواقعة بين طبرستان وخراسان، ظل في بلدته لا يبرحها حتى توفاه الله فيها عام أربعمائة وواحد وسبعين. وقيل أربع وسبعون وأربعمائة للهجرة. وإنه على علم كبير باللغتين العربية والفارسية، ذواقة للأسلوب القرآني، متكلم أشعري، شافعي المذهب، وهو من المؤسسين الأوائل لعلم البلاغة العربية.

أرخت له مراجع تاريخية وثقافية عديدة وهي على التوالي:

- ترجم له السيوطي في كتابه "بغية الوعاة"، والحافظ الذهبي في تاريخه "دول الإسلام"، والسبكي في "طبقات الشافعية"، وابن العماد في كتابه "شذرات الذهب" وصاحب كتاب "فوات الوفيات" محمد الكتبي، وهي كتب لم تؤرخ لحياة العلامة الجليل تأريخا مفصلا، بل كان جل اهتمامها منصبا على أصالته العلمية ومكانته الدينية وشهرته النحوية التي ذاعت بالأصقاع، ثم مدينته وما فيها من مزروعات وأشجار مثمرة، وأهلها وما اتصفوا من أخلاق حميدة.
- وما قاله ياقوت الحموي عن جرجان: مياهها كثيرة صياغها عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان، على مقدارها، وذلك أن بها الثلج والنخل، وبها فاكهة الصرود والجروم، وأهلها يأخذون نفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة....
- ولأبي عمر في وصفها:

هي جنة الدنيا سجسج يرضى بها المحروم والمقرور.
سهلية جبلية بحرية يحتل فيها منجد ومغير.
وكأنما أنوارها برياضها للمبصر سندس منشور.

وذكر أصحاب السير: أن أول من أحدث بناءها يزيد من المهلب بن أبي صفرة، وكان الفضل بن سهل قد ولى مسلم بن الوليد الشاعر صياغها، وضمّنه إياها، وأقام بها إلى أن أدركته المنية.

ويبدو أن جرجان في القرنين الرابع والخامس الهجري كانت خاضعة للدولة الزيارية ثم الغزنوية ثم في أيدي السلاجقة سنة (433هـ) ، ومن أشهر وزراء هذه الدولة الأخيرة نظام الملك أبو علي الحسين بن علي الذي كان محبا للعلم والعلماء، لإحداثه كثيرا من المدارس أشهرها المدرسة (النظامية).

وقد تخرج من جرجان كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين و الأدباء حينما كانت زاخرة بالنشاط العلمي، وفي هذه المدينة نشأ عبد القاهر كما ينشأ غيره من الصبيا. درس فيها علوم الدين العربية كما درسها الأخرون. وقد وهب الله له علما من أعلام النحو هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النحوي ابن أخت أبي علي الفارسي الذي نزل بجرجان واستقر بها وأخذ عنه أهلها فضلا كثيرا.

أساتذته ومصادر ثقافته:

يعتبر الشيخ أبو الحسين محمد الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي فارسي الإمام المشهور والمقصود من جميع الجهات من أعظم الأساتذة الذي تثقف على أيديهم، أخذ عبد القاهر عنه علم النحو، ولم يأخذه عن أحد سواه، عكف على دروسه وأخذ عنه جل علمه، درس عنده كتاب "الإيضاح" لأبي علي وقد عني عبد القاهر بهذا الكتاب عناية كبيرة، فوضع عليه شروحا كبيرة في ثلاثين مجلدا سماه "المغني"، ثم اختصر هذا الشرح في ثلاثة مجلدات بكتاب سماه "المقتصد".

وأما بخصوص ما ذكره ياقوت الحموي من أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي ابن عبد العزيز الجرجاني واغترف من فضله، وأنه درس أيضا على ابن جني والصاحب بن عباد فهو كلام يعيد عن الصحة العلمية؛ لأن هذه الروايات يرفضها المنطق والحقائق التاريخية المثبتة من أن وفاة القاضي الجرجاني كانت في شهر صفر سنة ستة وستين وثلاثمائة للهجرة، وأن وفاة ابن جني كانت سنة (392) هـ، ومات الصاحب بن عباد سنة (385) هـ. وقد شك معظم الباحثين في هذه التلمذة.

وكل ما يمكن أن يقال في هذه التلمذة بأنها تلمذة روحية خالصة وبأن روح عبد القاهر قد شربت من كل ما كتبوه، وأنّه اطلع أيضا على كتاب الخطابة لأرسطو عن ابن سينا، وأخذ عنه صحة تأليف الكلام وما ينبغي أن يراعى فيه من الروابط، من تقديم وتأخير، ومن سياق فقد جعل عبد القاهر مجهود ابن سينا في كتابه "الشفاء" في متناول الفكر العربي، وبذلك أحيا أسباب التوفيق بين البيان العربي واليوناني اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا.

ومهما يكن من أمر حياة عبد القاهر ونشأته وأساتذته ومصنفاته العديدة فإني أرى أن حياته الفكرية كانت تمثل صورة عصره المزدهر أصدق تمثيل والمتمثل في امتزاج الثقافات المتنوعة والمختلفة، ومن عربية وفارسية وهندية ويونانية وتلك حتمية احتكاك الحضارة الإنسانية بعضها ببعض وانتقالها بين الأمم.

منزلته العلمية وطلابه:

ولكن عبد القاهر لم يقف في تعلمه وأخذ العلم عن شيخه المفضّل، الذي كان يشير إليه دون أن يذكر اسمه، بل يكتفي بالقول: وقال شيخنا رحمه الله وأنشدنا شيخنا "رحمه الله"، أو حكى شيخنا رحمه الله.

بل قرأ الكتب الكثيرة التي موضوعها اللغة والنحو والبلاغة والأدب بعقل فكر واع للكثيرين الذين اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب أمثال كتاب سيبويه، وما كتبه الجاحظ والمبرد وابن دريد والعسكري والمرزباني والفارسي والآمدي والقاضي الجرجاني، وكان ثمرة هذا الاطلاع الثقافي الواسع أن تصدر بجرجان، وداع صيته، وشدّت إليه الرحال من كل جل طلاب العلم في زمانه، يقرؤون عليه كتبه ويأخذون عنه علمه من طلابه: يحيي بن علي الخطيب التبرونزي الذي: هاجر إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن عبيد الله الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان وابن برهان والمفضل القصيابي وعبد القاهر الجرجاني.

ومن طلابه المذكورين الواردين إلى العراق والمتصدرين ببغداد علي بن زيد الفصيحي، وقد تخرج على يديه جماعة كبيرة من طلاب العلم، واستفادوا منه مثلما استفاد من عبد القاهر.

وكذلك هو الأمر بالنسبة لطلاب آخرين ممن ذكرتهم كتب الرواة أمثال نصر بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري، وأحمد بن عبد الله المهابدي الضرير صاحب شرح كتاب "اللمع" لإبن جني.

وقد أعجب المؤرخون بعلمه وخلقه وأدبه، وترجموا له، واعترفوا بفضله فكان لابد لرجل عظيم في العلم والجاه مثل عبد القاهر أن يحظى بمنزلة عظيمة ويتصدر مجالس الدرس والعلم في جرجان.

ومما قاله القفطي في هذا المجال: وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدب، وتصدر بجرجان، وشدت إليه الرحال، وصنف التصانيف الجلية، وكان إلى جانب علمه، عظيم الخلق ورعا تقيا.

مؤلفات عبد القاهر الجرجاني وآثاره:

مصنفات عبد القاهر عديدة متنوعة حسب تنوع ثقافته، قرآنية ونحوية وبلاغية، ذكرتها كتب التراجم وأكدتها كتب الباحثين والمحدثين بأن بعض هذه المصنفات ما يزال مجهولا مع ضياع عدد كبير منها وأهمها:

دلائل الإعجاز:

اهتم رائد النهضة الإسلامية في العصر الحديث ومفتي الديار الإسلامية ورئيس جمعية العلوم بتدريس مادة البلاغة، في الأزهر الشريف، فأمر بطبع كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للدرس البلاغي، طبع دلائل الإعجاز لأول مرة سنة (1321) هـ ،بعناية السيد محمد رشيد رضا وإشراف الإمام محمد عبده. ثم طبع عدة مرات بتحقيق أحمد مصطفى المراغي والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

وقد سيطرت على الكتاب نظرية النظم بشتى أقسامها من علوم المعاني، تناول فيه اللفظ والمعنى، والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز وغيرها من الموضوعات اللغوية الهامة.

سعى عبد القاهر الجرجاني في هذا الكتاب إلى إثبات أن بلاغة الكلام تكون في النظم، وأن القرآن معجز بنظمه لا بالصرفة، وأن بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ وإنما إلى المعاني وإلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، وقد جمع في هذا الكتاب بين النزعتين العلمية والأدبية.

وأثر الكتاب في الدراسات القرآنية واللغوية تأثيرا عظيما، وسار على نهجه كل من الزمخشري في كتابه "الكشاف"، والسكاكي في كتابه "مفاتح العلم" والفخر الرازي في كتابه "إعجاز القرآن" والقزويني في "شروح التلخيص" وآخرون.

وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب هي النسخة التي استحضرها الإمام محمد عبده من المدينة المنورة وأخرى من بغداد للمقارنة.

ذاك ما أكد محمد رشيد رضا منشئ مطبعة المنار في الديار المصرية.

أسرار البلاغة:

أطلق يوسف السكاكي على موضوعات هذا الكتاب "علم البيان" وهو الكتاب الثاني الذي أقره الإمام محمد عبده مادة لتدريس البلاغة في الأزهر الشريف. طبعه لأول مرة منشئ المنار في مصر عام (1320) هـ، قبل أن يطبع "دلائل الإعجاز" بسنة، استحضرت له نسخة أصلية من طرابلس الشام كانت موجودة في أحد

بيوت العلم، قورنت بنسخة أخرى كانت موجودة في دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية وطبع الكتاب مرة أخرى الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في مصر سنة (136) هـ أي سنة (1948) م ثم طبع في إستانبول سنة (1954) م.

وهدف عبد القاهر من كتابه هذا يختلف عن هدفه في كتابه "دلائل الإعجاز"؛ ألفه عبد القاهر لغاية بلاغية بحتة.

وضح فيه الأقسام والأصول، ووضع القوانين، وذكر الفروق بين العبارات، والفنون البيانية، تناول التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، ثم أضاف إليها حديثا لفروع علم البديع، مثل السجع والتجنيس والتطبيق.

وسار على منهجه الفكري هذا يوسف السكاكي بتقسيمه موضوع علم البيان بأنواعه المختلفة. وإن دراسته لفنون البلاغة في هذا الكتاب كانت من أروع ما كتب. وقد استفاد من كتابه هذا كثير من الباحثين وبعض السلف أمثال القزويني في شروح التلخيص.

وما يمكن أن يقال في هذا الكتاب أن عبد القاهر قد وضع نظرية البيان لأول مرة في تاريخ الباحثين. تلك هي صفحات من حياة عبد القاهر وآثاره.

- محمد الكتيبي، فوات الوفيات، ج1، ص297. السيوطي فية الوعاة، ص177. ابن العماد، شدرات الدهب، ج3، ص340.
- ياقوت الحموي وما بعدها، معجم البلدان، ج2، ص1119. معجم الأدباء ج5، ص249. ج7، ص03، القفطي، إنباه الرواة ج3، ص188، ج1، ص18. محمد الكتيبي، فوات الوفيات ج1، ص512.
- طه حسين، نقد النثر، ص84.
- الدلائل، ص112، 132، 176.
- القفطي، إنباه الرواة، ج2، ص189-190. أحمد مطلوب، ص106. ابن العماد، سدرات الدهب ج2، ص245.

II. الملحق رقم 2: نبدة عن تمام حسان

تمام حسان عالم لغوي ونحوي مصري، عرف باجتهاداته اللغوية الذي خالف فيها النقد القدامى، له العديد من الاسهامات في مجال عالم اللغة، يقدم الباحث في هذا الفصل جوانب متعددة من حياته، ومولده وتعليمه وحياته العلمية والعملية ونشاطه العلمي، المنهج الذي اتبعه في دراساته المختلفة.

- **نشأته:**

ولد تمام حسان عمر محمد داود في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة 1918م، بقرية الكرنك محافظة قنا، إحدى محافظات صعيد مصر، وأتم حفظ القرآن الكريم وتجويده على قراءة حفص سنة 1929م.

وقد تحدث عن قريته في حوار أجراه معه الدكتور جاسع المطوع، ذكر أنها تقع على حافة الصحراء على ربوة تحتها الوادي الزراعي ووراءها الصحراء، سكان هذه القرية من قبيلة "هوارة" التي يقال أنها هاجرت إلى مصر من المغرب في أيام الدولة الفاطمية، وانتشر الصعيد –تقريبا– في كل بلاده، حتى تقلصت أخيرا فبقيت ما بين سوهاج وقنا.

- **حياته العلمية:**

لما وقع العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م تطوع للمشاركة في صده ودحره، ومكث في الجيش من أغسطس 1956م إلى مارس 1957م ولم يشطب اسمه من كشف ضابط الإحتياط إلا سنة 1962م، ولما كان في عام 1957م أرسلته الكلية إلى أمريكا لاختيار أجهزة حديثة لمعمل الأصوات اللغوية والتدريب على استخدام هذه الأجهزة، وكيفية استخراج النتائج منها، وذلك بناء على المنحة التي قدمتها مؤسسة " فولبرايت" الأمريكية، وهناك أقام شهرا كاملا في جامعة "ميتشجان"، تم خلاله اختيار جهاز الأوسيلو غراف، وجهاز البيتروغراف وهما الجهازان اللذان أهدتهما المؤسسة ، وكان موجوداً قبل جهاز الكيميوغراف، فكونت هذه الأجهزة الإلكترونية لتحليل الأصوات نواة لمعمل لغوي متكامل، كما قضى شهرا ثانيا بأقسام الدراسات الشرقية بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام 1959م رقيَ إلى درجة (أستاذ مشارك).وكان الدكتور تمام قد وقع صيف1980م عقدا للعمل أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة (جامعة أم القرى حاليا).وعاد إلى مصر بعد ستة عشر عاما قضاها بمكة المكرمة وجامعتها أم القرى ليعمل أستاذا متفرغا بكلية دار العلوم.

- **وضعه الاجتماعي:**

الدكتور تمام متزوج وله من الأبناء أربعة: ثلاث بنات وابن واحد، ويكنى بأبي هاني، ويقول في هذا الجانب: تزوجت بعد العودة من الحصول على الدكتوراه، ورزقت بأربعة، ثلاث بنات، وولد، ثلاثة منهم أطباء (الولد طبيب عظام، والبنتين واحدة منهما في التخدير، والأخر في الأطفال)، أما البنت الصغرى فهي مذيعة في التلفزيون المصري الآن واسمها أميمة تمام.

- **وفاته:**

توفي إلى رحمة الله في صباح يوم الثلاثاء الموافق 2011/10/11م، بعد مرض قيصر وعملية جراحية بالمخ، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جناته جزاء ما قدم خدمة للغة القرآن الكريم.

- **نشاطه العلمي:**

يمكن توزيع النشاط العلمي للدكتور تمام بصفة عامة إلى ثلاثة مجالات رئيسية هي: أولها مجال التأليف، وثنيهما مجال المقالات والبحوث، وثالثها مجال الترجمة، أيضا يضاف إلى ذلك حضوره ومشاركته العلمية في الندوات والمؤتمرات، وإلقاؤه المحاضرات في الأندية الأدبية والثقافية والمجامع اللغوية، والمعاهد التعليمية المتخصصة، واسهامه في الاشراف على الرسائل العلمية والاشتراك في مناقشتها.

- **مؤلفاته:**

1-مناهج البحث في اللغة:

صدر سنة 1955م: وهو باكورة النتاج الفكري في ميدان التأليف عند تمام حسان، وقد صدره بتقديم تضمن همًّا تخطى الهموم اللغوية إلى هموم الحضارة والفكر في جميع مناحي الحياة، وفيه دعوة يحدوها الحماس إلى كسر قيود التقليد. فكان منهج بحث اللغة متفرعا إلى مناهج فرعية متضافرة شكلت فصول الكتاب:

1- منهج الأصوات (الفوناتيك).

2- منهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا).

3- منهج الصرف.

4- منهج النحو

5- منهج المعجم.

6- منهج الدلالة.

هذه هي المناهج التي قصدها عنوان الكتاب، ولعل أهم ما تضمنته هو إعادة وصف أصوات عربية، فقد جاء بعد أن تزود صاحبه بمنهج في دراسة الأصوات في رسالتي الماجستير والدكتوراه، لذلك جاء الكتاب ملتزما بنقاط منهجية مهمة، ويعد من الكتب الرائدة في مجال الدرس الصوتي الحديث.

2-اللغة بين المعيارية والوصفية:

صدر هذا الكتاب سنة 1958م، وقد أشار تمام إلى صلة بينه وبين سابقه الذي ذكر في مقدمته أنه كان يطمح لو اتسع المجال لدراسة فصول ثلاثة أخرى هي:

1- التركيب والتحليل في اللغة .

2- المستوى الصّوابي والمجتمع اللّغوي.

3- الأبجدية ووظيفتها وإصلاحها.

وقد جاء في هذا الكتاب وفاء لما وعد به، وقد بناه على بابين هما المعيارية والوصفية:

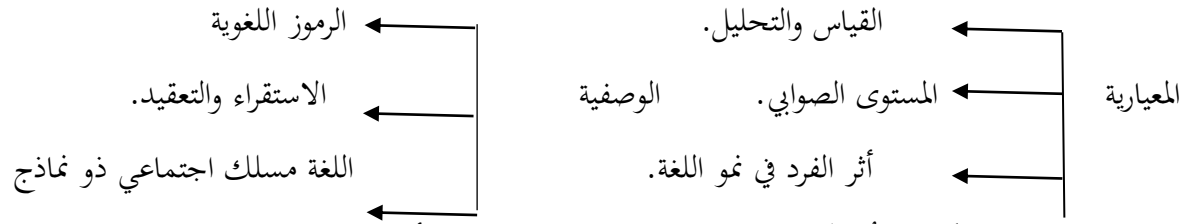

ولقد جاء هذا الكتاب فُرْقَانًا بين المعيارية والوصفية وبرهان على أن اللغة يَدْلفُ إليها الباحث من طريق الوصف، كما يدلف إليها المتكلم من طريق المعيار(العُرف)، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يسلك الباحث مسلك المتكلم.

3-اللغة العربية معناها ومبناها:

صدر هذا الكتاب سنة 1973، وقد جاء الكتاب في ثمانية هي:

1- الكلام

2- النظام الصوتي.

3- النظام النحوي.

4- النظام الصرفي.

5- النظام النحوي.

6- الظواهر السياقية.

7- الدلالة.

وخلاصة هذا الكتاب الذي يمثل حجر الزاوية في صرح التفكير اللغوي عند تمام حسان، إن سمات التجديد تظهر فيه من عدة نواحي منها:

- المزاوجة بين التنظير والتطبيق، ويأتي التطبيق على العربية الفصحى في الدرجة الأولى، ثم التمثيل باللهجات العامية خاصة في فصل الدلالة، أين اقتضى الأمر التمثيل بعبارات لهجية.
- النظر إلى اللغة نظرة شمولية من خلال فكرة النظام التي عني بها الكاتب وصيرها منهجيا تدرس قضايا اللغة على منواله بطريقة أكثر ضبطا ولشمولية.
- تميز الكتاب بمنهج خاص في طرح المسائل قوامه تقديم البدائل فجاء النقد مشفوعا بنماذج بديلة واضحة الأسس والمعايير.
- وضع الكتاب تصورا واضحا للعلاقة بين علوم العربية، كالعلاقة بين النحو وبين علم المعاني، والعلاقة بين المعجم وعلم البيان وغيرها.

4- كتاب المقالات في اللغة والأدب:

وهذا الكتاب يعبر عن مجموعة المقالات حول اللغة والأدب الذي تم في نشره في عدد المجالات العلمية، بدأت هذه الكتابة في سنة 1952، حيث أصبح تمام حسن محاصراً في كلية دار العلوم بالجامعة القاهرة، حتى السنة 2007 يتكون هذا الكتاب من مجلدين، ونشر لأول مرة في سنة 1985، ثم تنقيحها وإعادة إصدارها بالطبعة علم الكتب في السنة 2006.

يبحث هذا الكتاب ستة عشر مبحثا التي تنقسم على أربعة تصنيفات وهي: تعليم اللغة، علم اللغة، النقد اللغوي، تقويم التراث اللغوي العربي، ولذلك أن هذا الكتاب يتمثل تفكير لغويته الذي لم يبحث من قبل.

- عبد الرحمان حسن العارف ، تمام حسان رائدا لغويا،عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 2000م ، ص 13-17
- حديث الذكريات (برنامج حواري) ، حاوره تمام حسان : جاسم الطلوع، المشرق العام على شبكة العلماء الإلكترونية، كان التسجيل في 1-1-2003 م.
- وكبيديا ، الموسوعة الحرة.
- عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، 1932م – 1985 م ، ص 65
- فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ،. ص14
- تمام حسان اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1425هـ – 2004م ، ص 208
- Muhbib abdul wahab, pemikiram linguistik Tamam dalam pemblijqrn Bahasaarab, Jakart, MIN press ,2009,94
- تمام حسان، المقالات في اللغة والادب، عالم الكتب، 2006، 25

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	/
مقدمة	أ
الفصل الأول: السياق مفهومه عناصره وأنواعه	
تمهيد	5
I . السياق عند العرب	5
1.I. السياق في المعاجم العربية	5
2.I. السياق عند النحويين	6
3.I. السياق عند الأصوليين	13
4.I. السياق عند البلاغيين	17
5.I. السياق عند المفسرين	20
II . السياق عند الغرب	23
II .1. السياق في لسانيات النص	23
II .2. السياق في التوليدية التحويلية	27
II .3. السياق في البنيوية	29
II .4. السياق في التداولية	38
III . السياق والعرب المحدثين	41
الفصل الثاني: السياق بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان	

I. السياق عند عبد القاهر الجرجاني	50
1. مفهوم السياق عند الجرجاني	50
2. أنواع السياق عند الجرجاني	51
3. عناصر السياق عند الجرجاني	54
4. تأثير السياق عند الجرجاني	64
II. السياق عند تمام حسان	67
1. مفهوم السياق عند تمام حسان	67
2. أنواع السياق عند تمام حسان	68
3. عناصر السياق عند تمام حسان	76
4. تأثير السياق عند تمام حسان	83
III . السياق بين عبد القاهر الجرجاني وتمام حسان	84
خاتمة	91
الملاحق	/
قائمة المصادر والمراجع	/
فهرس المحتويات	/
الملخص	/

الملخص:

عرف السياق انتشارا كبيرا على باقي المواضيع اللّسانية نظرا للمكانة التي احتلها لما له من أهمية في الكشف عن المعاني والدلالات.

وهذه الدراسة التي قدمناها تهدف إلى البحث في تقنية السياق بين القدماء والمحدثين وذلك باختيار" عبد القاهر الجرجاني "كممثل لمن تناولوا ودرسوا السياق في القديم واختيار" تمام حسان "كممثل لمن تناولوا ودرسوا السياق الحديث.

وكذلك إلى الكشف عن الاختلافات والتغيرات التي طرأت عليه على مرّ العصور.

الكلمات المفتاحية :السياق، عبد القاهر الجرجاني، تمام حسان .